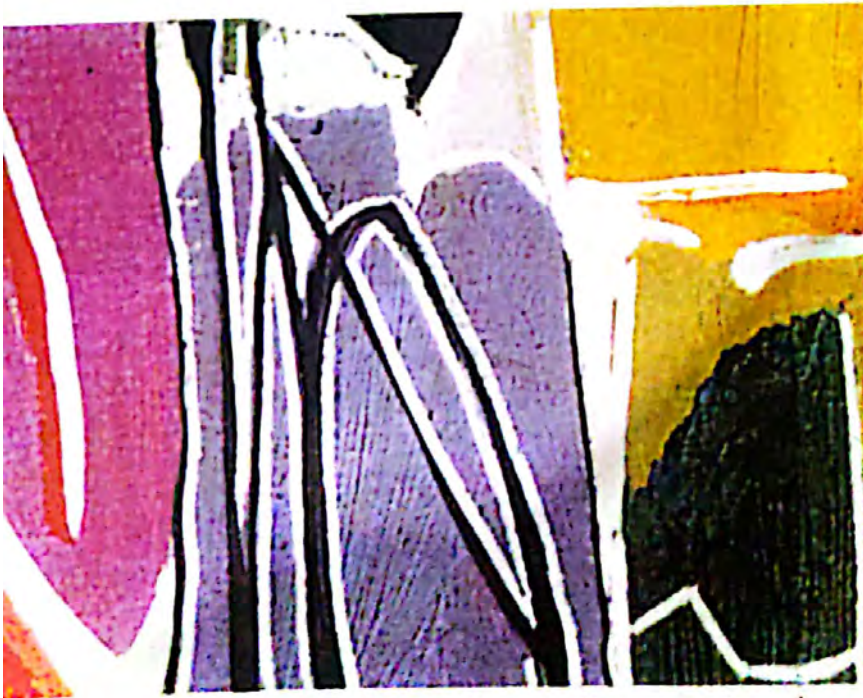


ديوان الشاعر السيد جعفر محسن الأمين (١٩٠٨-١٩٨١)



تحقيق وتقديم:
حبيب جابر



الإهداء

عيسى

إلى من أضاء بنور عتمة ليل الأجيال
إلى المستضعف المعذب، نصير المعذبين والمستضعفين
في أرضه وفي كل أرض
إليك يا جعفر
طبت حياً وميتاً وسلام عليك
نم هانئاً فهذي روحك الشعرية اليوم كتاب

حبيب جابر





الشاعران الصديقان: جعفر الأمين ونور الدين بدر الدين

حَتَّام بي يا دهر من هدنةٍ يغشى الصفاء بها عرين السَّيد
لم يبق لي بين الورى من مفرع حتى ولا موت الشهيد بمسعدي
نور



تأبى لي السوءات نفس عفة
لو كان يدري الناسُ بعض فضائلي
ولو أنني قد عشتُ في زمنٍ مضى
ولكان لي فوق البسيطة منبرٌ
وسريرةٌ بيضا وقلبٌ أظهرُ
لغدوتُ أرقى عندهم وأبحرُ
صلّوا عليّ مع النبيّ وكبروا
أرقى إليه وفي القيامة منبرُ
جعفر

تمهيد

تعود بي الذاكرة إلى الستينات من هذا القرن يوم قمت مع البعض من خلان السيد جعفر وإخوان الصفاء ، بزيارة له في مسقط رأسه شقراء حيث ضمنا هناك مجلس أنس نعمنا فيه بحلاوة التلاقي...

في غرفة الاستقبال ، حانت مني إلتفاتة إلى خزانة الأواني المنزلية وطالعتني فوقها مفكرة سوداء اللون. تناولتها ورحت أقلب صفحاتها... بادرني السيد جعفر بالقول: " هذا ديوان شعري مبوباً ومنقحاً.

لم أبد كبير اهتمام وأعدت المخطوطة إلى مكانها بعد أن أضمرت أمراً...

في المساء ، حان وقت الفراق ، وأخذت المفكرة خلسة وتوجهت نحو السيارة حذراً من أن يراني أحد فينكشف السر...

في النبطية وأثناء الليل هممت بنسخ المخطوطة كاملة وكنت على عجل من أمري خشية أن يستفيق السيد جعفر في اليوم التالي فيأتي ليستعيد المفكرة العزيزة على قلبه...

ولقد صبح ما توقعت ، إذ سمعت صوتاً في الصباح يناديني من خارج المنزل... ها هو السيد جعفر مصطحباً أحد الأصدقاء يبادر قبل التحية بالسؤال:

المفكرة عندك ؟

قلت : نعم.

قال : ولم فعلت ذلك ؟

قلت : قد يأتي حين لن تجد أحداً غيري يهتمه هذا الأمر...
انفجرت أسارير وجهه ودخل المنزل مطمئناً ثم لم يلبث إلا قليلاً
حتى تأبط مفكرته وخرج مودّعاً.

قلت للسيد جعفر: لقد نسخت الديوان كاملاً وسأحتفظ بالنسخة
إلى حيث تدعو الحاجة. ثم لا يغيبن عن بالك أنني سأعمل على
إعادة النسخ تكراراً لأعمّم هذا الديوان على المهتمين وبذلك يبقى في
منأى عن الضياع ومحفوظاً في أكثر من مكان ليندرج من بعد في
سجل الخلود.

ورحت أبحث مع الأيام عن سبيل يؤدي بي إلى تحقيق الديوان
وطبعه وإخراجه من العتمة إلى النور لا سيما بعد أن فارق السيد
جعفر دنياه...

وبمبادرة من الأمين العام للمجلس الثقافي للبنان الجنوبي الأستاذ
حبيب صادق أتيت لي فرصة الوقوف على منبر المجلس في النبطية
لأقدم : " قراءة في شعر السيد جعفر الأمين ". تلك القراءة التي لا
قت ارتياحاً واستحساناً مما شجعني على مواصلة السعي لبعث
الديوان من رقده الطويلة.

اتصلت بنجل السيد جعفر ، الأستاذ أكرم الأمين ، الذي أبدى
موافقته بعد أن زودني بما استجدّ من قصائد لم ترد في نسختي إضافة
إلى تلك الصفحات التي كان السيد جعفر قد سطرها بخط يده وفيها
سيرة حياته وبعض ذكرياته التي أراها من الأهمية بمكان.

تلكم هي قصة هذا الديوان الذي لا شك في أنه سيلقى حسن
القبول والتلقي من القراء ولا سيما منهم أولئك المهتمين بدراسة
التاريخ الأدبي العالمي.

ولا يسعني من بعد إلا أن أتوجّه بالشكر الجزيل إلى كل من

أمدّني بالوسائل المساعدة على بلوغ المراد بعد هذا المطاف الطويل.
وأولاً وأخيراً فلا بد من التذكير، احتراماً لفضيلة الوفاء، بأنّ هذا
الأثر الشعري ما كان له أن يخرج إلى الناس ، بعد طول انتظار،
لولا جهد المجلس الثقافي للبنان الجنوبي الذي آل على نفسه ، منذ
قيامه، أن يعطي الجانب الأكبر من اهتمامه ونشاطه للمحافظة على
التراث العاملي والعمل على نشره ما استطاع إلى ذلك سبيلاً وقد
توفّر له إمكان نشر بعض هذا التراث وهو مجد في هذا السبيل..
وإذا كان المجلس يفخر بأنّه أول مَنْ بادر إلى نشر مؤلّفين بالغني
الأهمية للأدبية العاملية زينب فواز "حسن العواقب، الهوى
والوفاء" ، كما نشر ديوان الشاعر المرحوم الشيخ عبد الكريم صادق
فهو يعتز اليوم بإخراج ديوان الشاعر السيد جعفر الأمين من عتمة
الأدراج إلى أضواء عيون القراء الأعزّاء.

حبيب جابر
رئيس فرع
المجلس الثقافي للبنان الجنوبي
في النبطية

تقديم

قراءة في شعر السيد جعفر محسن الأمين^(١)

يخطئ مَنْ يظن أنَّ الزمن يستطيع في أي حال إسدال أستار النسيان على الشعر وإلاَّ لما كانت هنالك معلقات ودواوين شعرية خالدة حتى اليوم ثم إنَّ إهمال الشعر أياً يكن تصرف البشر النقدي حياله لا يمكن أن يصرف الناس عن النظر فيه واحتضانه، علماً أنَّ أصحاب الشأن من مؤرخي الأدب العاملي ونقّاده لم يتناولوا حتى يومنا هذا شعر السيد جعفر الأمين في دراسة أدبية نقدية تاريخية إحياء على الأقل ، لدور هام لعبه هذا الشاعر على ساحة الأدب الجنوبي العاملي وبعثاً لأثر خلفه لنا خلال فترة زمنية امتدت من أواسط الثلاثينات إلى أواخر السبعينات من هذا القرن وهي الفترة التي تميزت بوفرة عطائه الشعري.

وإذ نرى أنَّ ليس من مبرر لهذا الإغفال المثير، فإنَّ أخشى ما نخشاه هو أن تكون تلك النظرة الأحادية الجانب هي السبب في عدم تناول هذا الشعر درساً وتقويماً من حيث أنَّ هذا الشعر قد صُنّف في خانة ما يُسمَّى بـ "الشعر الفكاهي"^(٢) وبهذه الصفة - كما يزعم

(١) قدمت هذه القراءة من على منبر المجلس الثقافي للبنان الجنوبي - فرع النبطية، بتاريخ ١٩٩٨/١٠/٢٣.

(٢) أنظر كتاب المؤرّخ الشيخ علي مروّة : "الأدب الفكاهي العاملي" .

البعض - لا يعدو كونه شعراً لا يصلح إلا للتندر والتسلية ضمن إطار حلقات محصورة النطاق بحيث لا يمكن الاعتداد به مثل بقية الأشعار المتفق على تصنيفها "جيدة" أو "أصيلة".

إنَّ في هذه النظرة الكثير من عدم الدقة على ما أرى ، إن لم أقل فيها القصور عن إدراك معنى الشعر بالمطلق ، وعن إدراك دوره كديوان لحياة الشاعر وكسجل لنظرته إلى الحياة والوجود الأمر الذي يدعو إلى التساؤل عن حدود "الفكاهة" و"الجدية" ومن ثم السؤال: أين تبدأ حدود السياسة شعرياً على سبيل المثال ، ذلك أنَّ الشعر لا يجوز أن يحد بأمور خارجة عنه إلا من باب التعسف.

وإذا سلّمنا جدلاً بصواب تلك النظرة جزئياً، وإذا كانت "الفكاهة" وجهاً من أوجه شعر السيد جعفر، وهذا أمر مألوف نجده عند الكثيرين من الشعراء، - من حيث أنَّ الفكاهة تعني فيما تعني طيب النفس والإمتاع والمؤانسة - فلا يصح بالتالي إغفال الأوجه الأخرى البالغة الدلالة على روح التجديد والفكر المسؤول والفن الموغل في الجد والرغبة الصادقة في الإصلاح ، ولست بهذا الصدد لأتوخى كشف وتوضيح ما التبس أو قد يلتبس بقدر ما يهمني بقدر ما يهمني أن أشير إلى وجوب التأنّي في إصدار أحكام قد لا تصيب.

وإذ أوكد على أنَّ السيد جعفر الأمين كان الشاعر ، الشاعر، فإنني أتساءل هنا وبمرارة: هل بقيت للشاعر في هذه الأيام تلك المنزلة التي كان يحتلها في الأعصر الخوالي ؟ وهل بقيت للشعر قيمة وسط هذا الخواء الثقافي ؟ فضلاً عمّا يتردد من أقوال عن محنة الشعر وما يواجهه من أزمة استمرار جرّاء التحولات المتسارعة على كل صعيد، الأمر الذي يسبّب لمحبي الشعر وعشاقه - ونحن منهم بالطبع - قلقاً ممضاً ولا سيما في هذا الزمن الرديء زمن الانهيارات وسقوط القيم وانحدارها إلى الدرك الأسفل ، زمن لم تعد الأولوية فيه إلا للمادة أو للجسد.

القول الحق هو أن الشعر ديوان العرب ، لأنك تستطيع أن تقرأ فيه الأيام والتواريخ والوجدان ونوع الثقافة وطبيعة انشغال المثقفين. والقول الحق أيضاً، هو أن الشاعر ذاكرة شعبه... وشعب بلا ذاكرة هو شعب بلا تاريخ وهو بعد ذلك كالغرس المنقطعة الجذور والتي لا بد من أن تفقد نضارتها وحيويتها ليدركها اليباس المفضي إلى الموت.

فرنسيس بيكون الفيلسوف يقول: 'علينا أن نقدر الشعراء أكثر من تقديرنا للفلاسفة ، لأنَّ الشعراء يستطيعون أن يعبروا في نتاجهم عن الطموح وعن المشاعر الإنسانية الدقيقة وتصوير عادات الناس وعيوبهم'.

'يمتشق الشاعر جسده متحدياً - يقول الشاعر شوقي بزيغ - وإذا ما استطاع الفارس أن يحقق للقبيلة مجداً مؤقتاً ، فإنَّ الشاعر وحده هو الذي يمكنها من الديمومة ويصلها بأسباب البقاء'.

وإذا ما أتت هذه الأقوال لتدور حول الشعر والشعراء بعامة ، فما هو القول في الشعر العاملي والشعراء العاملين بخاصة ؟ إنَّك لن تجد قولاً أصدق مما قاله الأمير شبيب أرسلان ، ولا لوحة أزهى من تلك التي رسمها ببراعة وبلاغة ودقَّة وواقعية.

يقول أمير البيان^(١): 'لم أجد أصدق من قريض أبناء جبل عامل صورة للشعر العربي الصميم ولا أخلص منه عرقاً في نسب اللغة... ولقد أراني أشرب ولا أرتوي ، حتى إذا وقعت في يدي بعض قصائد من نظم العاملين شبت كبدِي رياً وامتلاً دماغِي بياناً عبقرياً، نعم هذا هو الشعر الذي ينبغي أن يبقى في العرب مرفوعاً شعاره، مضياً مناره، زاهراً نواره مهتزة أوتاره حتى لا تتكرر اللغة على أهلها

(١) انظر 'الأدب الفكاهي العاملي' مرجع مر ذكره.

ولا يختلط هجينها بفنيقتها ونكسها بفحلها" ^(١)، ومما لا شك فيه أن جبل عامل كان ولا يزال موطناً من مواطن الشعر بامتياز، فالمدونات والمصنّفات الأدبية حافلة صفحاتها بأخيار السير والليالي وبما كان يدور من مساجلات ومعارضات ومطارحات ونقائض شعرية تبين لنا كم كان شديداً اهتمام العاملين بالشعر على أنواعه.

تحضرني هنا "المبارزة" الشعرية الزجلية الرائعة بين الشاعر المسيحي داود والشاعر العاملي محمود من قرية حدّاثا الجنوبية وقد دارت في وقت مبكر على الألسنة.

ثم تلك "المدونة الشعرية" العامية التاريخية المعروفة بقصيدة "سفر برلك" ^(٢) وقد شارك في نظمها أكثر من قوّل محترف من أبناء النبطية معبرين فيها عن معاناة الناس في ظل الحكم العثماني وعمّا أذاقهم الاحتلال يومذاك من صنوف العذاب وما تعرضوا له من ذل وهوان.

لقد وجد العاملين في الشعر خير سبيل يسلكونه للتعبير عما تجيش به النفوس ، وللتنفيس عمّا يعانونه من جور وكبت وحرمان ، ولتدوين أحداث مختلفة اختزنتها ذاكرتهم. فاليئة العاملية هي كأي بيئة شيعية يعنى أهلها بقول الشعر وسماعه والحديث عنه، عنايتهم بالمسائل اليومية ، فالشعر بالنسبة للعاملين حياة ، وهو كالماء والهواء ولا سيما إذا أخذنا بالاعتبار ما كان يعقد من مجالس أدبية يومية - خاصة وعامة - وما يتلى من شعر في الأفراح والأتراح والمناسبات ومجالس التعزية.

(١) الفنيق : هو الفحل المكرّم الذي لا يركب لكرامته ، والنكس : الضعيف.

(٢) نشرها الأستاذ الأديب جواد صيداوي في ملحق جريدة النهار في السبعينات في ملحق النهار الثقافي ، ثم أعدت نشرها في ديوان الشاعر توفيق عبد الكريم صبح مع المقدمة التي كتبها لها الأستاذ صيداوي - أنظر منشورات المجلس الثقافي للبنان الجنوبي.

واليوم، وفي هذا السياق تندرج دعوة المجلس الثقافي للبنان الجنوبي - فرع النبطية - إلى مائدة شاعر جنوبي عرفه البعض وعاصره، ويجهله الكثيرون.

مائدة السيد جعفر الأمين، أيها السادة، ليست كتلك التي ذكرها الشاعر سعدي يوسف وقد "غادر إليها شعراء ومثقفون ممن عرفهم" ونعرفهم، ولا هي تلك التي "أرغفتها مغمّسة بالذل والمهانة" على حد قول الشاعر المبدع شوقي بزيع، مائدة اليوم عامرة بالطيبات واللذائذ التي كدنا أن ننسى طعمها في هذا البحران من التوافه والغثاثة...

بالعودة إلى الجزء الثاني من "دفتر الذكريات الجنوبية" الصادر عن المجلس الثقافي للبنان الجنوبي عام ١٩٨٣ نقرأ في ذكريات السيد جعفر قوله: "سامح الله الأستاذ حبيب صادق الأمين العام للمجلس الثقافي للبنان الجنوبي، الذي تمكّن من وضع رأسي في الجراب ومن جرّني إلى هذا الموقف الحرج" قال هذا لأنّه "ما فكّر في حياته أن يقف متكلماً في أي موضوع كان وأمام أية مجموعة كانت قلت أو كثرت".

قول السيد جعفر هذا عائد إلى "خوفه من أن يكون هو المقصود بالمثل العاملي: "يا بير علما يا قليل المي يا كثير الضفادع". تلك البئر التي رأى فيها السيد جعفر ما رآه في "آلاف الآبار العربية التي لا مياهها كثرت ولا ضفادعها قلت" (١). أما أنا فلا يسعني إلا الإعراب عن بالغ تقديري لحضرة الأمين العام لحرصه الشديد على مبدعي الجنوب من أدباء وشعراء ومثقفين ومؤرخين ممن نالوا الحظ الأوفر من عنايته، ولسعيه الدؤوب إلى إبقاء الذاكرة الجنوبية مجلوة

(١) انظر: دفتر الذكريات الجنوبية - منشورات المجلس الثقافي للبنان الجنوبي، ١٩٨٣

ناصعة، فلهذا الركن الرائد من أركان نهضتنا الأدبية الجنوبية الحديثة
جزيل الاحترام وفائق التقدير.

لقد شاء الأستاذ حبيب صادق أن أقف هذا الموقف الحرج إلى
حد ما، إلا أنني لم أسع إلى الإفلات منه لما للسيد جعفر في نفسي
من محبة ووفاء ونظراً إلى مكانتي منه في السالف من الأيام.
أشرت إلى الحرج لأن القراءة في شعر السيد جعفر هي من
الأمور العسيرة، غير أن ذلك لا يعود بي إلى خوف من فشل كان
السيد جعفر يخشاه عندما اعتلى منبر المجلس الثقافي، ولا إلى نجاح
لم يكن هو ليأمله كما قال. بل كل ما في الأمر هو أنني أرى أن
هناك مَنْ هم أطول مني باعاً في هذا المضمار.

بناءً على ما تقدّم سأكتفي بالتعريف بهذا الشاعر الذي حظي
باهتمام الوسط الأدبي العاملي بعامة والنباطي بخاصة ومن ثم
سأحاول أن أسلط الضوء على ما يمتاز به شعره، وإذا ما بقي متسع
من الوقت سأتلو بعض قصائده أو مختارات من بعضها الآخر حيث
لم يتسنّ للكثيرين الوقوف عليها.

أبو أكرم، السيد جعفر محسن الأمين العاملي الشقراوي، نسبة إلى
بلدة شقرا في قضاء بنت جبيل، من مواليد ١٩٠٨م، كما صرّح نجله
بذلك غير أن بطاقة هويته تشير إلى أنه من مواليد ١٩١٠م.

ولد السيد جعفر في بيت من بيوت العلم المشهورة وأسرة آل
الأمين هي من الأسر العاملة الهاشمية المعروفة بعراقتها في علوم
الدين والشعر والأدب. والده السيد محسن الأمين نزيل دمشق ومرجع
الطائفة الشيعية فيها، أسّس "المدرسة العلوية" التي أصبحت تُعرف
بعد وفاته بـ "المدرسة المحسنية" وهو صاحب الأثر الموسوعي في
علم الرجال "أعيان الشيعة".

ورث السيد جعفر عن أمه خصائص سكان أفريقيا الشرقية: البشرة

السمراء والشعر الأجعد، وبالرجوع إلى أقوال الذين عايشوا والدته، فقد وصفوها بالسمراء الجميلة وبالمرأة الذكية الخفيفة الظل.

لقد كان واثقاً من نفسه، متفوقاً على أقرانه، معروفاً بحدته ذكائه وجراته وحنكته وثقافته الواسعة، إلى جانب رهافة ذوقه وجديته ومرحه وسرعة بديهته وسمو شعوره الإنساني.

لقد نشأ محباً للأدب متطلعاً إلى الإحاطة بثقافات عصره حيث دأب على التحرك إلى مجالس الأدب التي زخرت بها البقعة العاملة محققاً محصولاً ثقافياً تمثلت في شخصية فريدة ملمة بشتى أنواع التفكير والثقافات قال:

فكيف لمثلي أن يشق طريقه وقد قامت الدنيا قيامتها الكبرى
ولا لي من بأس أخيف به أمراً ولا همّة قعساء تقتلع الصخر
ولا نسب في الأرض أصل جذوره وأغصانه في الخافقين علت قدرا
ولا لي وجه يكسف الشمس نوره ولا لحية شقرا ولا عمّة خضرا
فما أنا إلا غلطة في صحيفة يمر بها القراء مرّاً ولا تقرا
ولست إذا ما المجد عدّ قطيعه سوى عنزة من بعض ما عزّه العرا
تلقى السيد جعفر علومه الأولى في شقراء حيث تتلمذ مع إخوته
على يد السيد موسى سلمان ثم على يد الشيخ محمد علي الحوماني
فضلاً عن بعض دروس القراءة والخط التي كان يتولاها والده السيد
محسن الأمين. انتقل إلى دمشق ليتابع دراسته في "المدرسة العلوية"
"المحسنية" فيما بعد.

عام ١٩٢٧ قدم إلى النبطية محاولاً الدخول في السنة الخامسة الابتدائية، في المدرسة الرسمية التي كانت المدرسة الأولى بين مدارس الجنوب الحكومية في ذلك الحين، إلا أنه لم يقوَ على الصمود لعدم قدرته المادية من جهة ومن جهة ثانية لأن أكثر الدروس

كانت باللغة الفرنسية وفي دمشق كان بين العروبة واللغات الأجنبية
عداء على حد قوله.

إلا أنه تابع دراسته على نفسه بما في ذلك تحصيل اللغة الفرنسية
التي ساعده على تعلمها بعض أصدقائه حيث التحق على الأثر بدورة
تعليمية في دار المعلمين عُيِّن بعدها في العام ١٩٣٠م معلماً في
النبطية وأقام فيها وحول بيته إلى منتدى للعديد من شبابها يقيمون
المجالس المختلفة، يقول السيد جعفر فيها: "كانت مجالسنا وحياتنا
للسياسة والدراسة والكياسة والنجاسة".

ربطته مع السيد نور الدين بدر الدين الشاعر علاقة مميزة لأنَّ
ظروف حياتيهما كانت متشابهة، وشبيه الشيء منجذب إليه كما يقول
المثل، وقد أشار إلى ذلك بقوله: "عرف السيد نور الدين بدر الدين
في بادئ الأمر بالشعر الغرامي القصصي حيث كان يصف مغامراته
الشخصية بشكل صريح، ولم يغير في مضمون شعره إلا عندما بدأ
بالحوار معي وكاد ينحصر شعره بما جدَّ بيني وبينه، فكل قصيدة مني
لها جواب منه والعكس بالعكس، حتى اقترن إسمانا كما يقترن إسم
كليلة بدمنة وإسم عنتره بعبلة وكما تقترن دائماً بسم الله الرحمن
الرحيم بأعوذ بالله من الشيطان الرجيم^(١)."

مارس التعليم في كفرصير وكفررمان والنبطية وفيها كان زواجه
الأول بعدما كان قد اتخذها مقراً دائماً يعود إليه إذا ما تمَّ نقله من
مكان إلى آخر.

في كفرصير وفي أواسط الثلاثينات نظم بواكير قصائده ومنها نقل
إلى النبطية ليلتحق بعدها بمدرسة الدوير الرسمية ومن ثم وبسبب
نشاطه السياسي، وهو واحد من ثلاثة معلمين أسسوا الحزب الشيوعي

(١) أنظر من "دفتر الذكريات الجنوبية"، مرجع مر ذكره.

في النبطية، نقل تأديبياً مع عدد من رفاقه المعلمين إلى محافظة الشمال، فكانت بلدة حلبا في قضاء عكار محط رحاله ومنها نقل إلى بلدة شمسطار في محافظة البقاع مديراً لمدرستها وذلك بناءً على رغبة وسعي نسيبه مفتش المحافظة يومئذ السيد عبد الرؤوف الأمين الشاعر المعروف بـ "فتى الجبل".

وفي عام ١٩٥٢ نقل من شمسطار إلى مسقط رأسه شقراء مدرساً وحيداً في مدرستها لعدة سنوات ليسعى بعدها إلى جعل المدرسة متوسطة كان يأمها الطلاب من القرى المجاورة. يومئذ

وهكذا إلى أن ترجّل الفارس واستراح من عناء رحلة طويلة وشاقة بالاستقالة المبكرة من الوظيفة العام ١٩٧١ قبل حلول موعد تقاعده بثلاث سنوات ثم لم يلبث أن استراح الراحة الأبدية في مسقط رأسه شقراء في ٢٩ شباط ١٩٨١ عن ولد وحيد وابنتين.

وبعد، ماذا في شعر السيد جعفر؟

تلقى في شعره الحكمة والملاحم الفلسفية وروح الدعابة والسخرية اللاذعة والنقد الاجتماعي التوجيهي. وشعره إلى ذلك حب طافح وإيمان بالمثل، ولعل حبه هو الذي جعله قادراً ومبدعاً وبعث فيه لذة الجمال، فحوّله مثالياً عاجزاً عن تحمّل الفوضى والبشاعة والانحطاط والتخلف غير متقبل أن تُقتل الحياة في أي كائن فيقول:

وحصرت بالحيوان كل محبتي فحلت بعيني العنزة الجرباء
ودجاجة معطاء أسقط ريشها من ضعفها، وبسينة برشاء
والذن نطق صار عندي حينما تعوي بقربي الكلبة الجرباء
ولم يكن هذا القول من باب النكاية أو التشفي بل كان يصدر عن
شعور إنساني عارم تمثّل في تلك العلاقة الحميمة بكلبته التي كان
يسخر لها الصباحات فيروح ليجمع لها العظام من حوانيت القصابين
غذاء لهذا المخلوق الوفي.

ثم لنقرأ تلك القصيدة الفريدة من باب نجوى النفس ومراجعة تغير الحال والزمان وتقلب الناس والمصائر بحيث جاءت مونولوجاً نفسياً يأخذنا إلى فضاءات هذا العالم الإنساني الرحب الذي يحتويه وجدانه^(١).

واللغة في شعر السيد جعفر بسيطة تقارب مفرداتها المفردات الشعبية التي يستسيغها السمع ويطرب لها، ينتقل بها من مستواها الشعبي إلى المستوى الأدبي، وهو وإن لم يرق بأسلوبه وبيانه الشعري وبلاغة التعبير إلى مستوى الفحول من الشعراء العاملين، فمما لا شك فيه هو أنه يحتل منزلة الكثيرين منهم من حيث توقد الذهن ورهافة الإحساس ونفاذ البصيرة والتوق الدائم إلى النقد اللاذع الكاشف للأخطاء والعيوب، والتطلع الدائم إلى إصلاح ما فسد، ورفع مستوى القارئ إلى المستوى النموذجي الأمثل.

لقد كان الحاضر الدائم الذي لم تغب عن شعره صورة الواقع الاجتماعي والمرحلة التاريخية التي عاشها فلا تجد في شعره إلا الشدائد والمخاوف والضرورات والأحلام وانكسار الذات وخيبات النفس الموجعة وأشواقها وصبواتها كما أنه لم ينقطع عن حركة المجتمع وقضاياها فكانت مفهوماته عن الحياة والإنسان شمولية في معظم ما تناوله من أغراض شعرية متداخلة في قصائد شكّلت لوحات فنية وسجلاً لمشاعره ومعاناته ومواقفه.

والجدير بالذكر هو أن كثيراً من المواضيع التي طرقها لم تدفع إليها ظروف بيئته وحياته فحسب، بل هي موضوعات استمدت بعضها من الموروث للتعبير عن مشكلات كبرى كانت تؤرقه.

لقد بالغ السيد جعفر في مخالفة المألوف والثورة على التقاليد،

(١) أنظر قصيدته في هذا الديوان بعنوان: شكوى.

غير عابئ بالمحظورات والقيم الدينية والأخلاقية حتى راح يبحث عن دين جديد، فوجد ضالته في الشيوعية التي رآها السبيل الوحيد المؤدي إلى أن يكون الناس قريبين من حياة فردوسية يسودها السلام الحقيقي.

وإذا ما كانت الأيام قد أرهقته والعواصف واجهته فما منعه كل ذلك من الاصطفاف إلى جانب أبناء شعبه المعذب في أزمنة العنف والظلم والهيمنة. وبهذا وبما أثاره من مسائل فقد تبوأ مركزاً طليعياً بين أنداده من الشعراء المتمردين والمشاكسين.

ولطالما قايس نفسه بعنترة وشكا من الحظ الذي لم يحالفه كما حالف ذلك الشاعر الفارس المغوار، يقول:

لو كان عنتر مثل حظي حظه قسماً لما قهر الفوارس عنترُ
ثم يقول:

وما بي من مواهب تدريني ولا لي زندُ عنتره بن عبي
من هنا يأسه ولا مبالاته وتهكمه واستخفافه بكل شيء حتى ببعض رجال الدين، ومن عُرِفوا في زمانه بالوجهاء والأثرياء. في حين لم يكن يُلاقى عند هؤلاء إلا الاحترام البالغ والتقدير الذي قلَّ مثيله لغيره من الأقران.

ومن هنا تلك الخيبة التي مُني بها، حتى تجذّرت في أعماقه جراء ما كان يشهده من دوران المؤسسة الاجتماعية على الخديعة والنفاق ومظاهر الغش والخيانة والتباري في ابتكار أصناف الكذب واختراع أساليبه وتصنع مبرراته.

ولا سيما وكما يقول السيد نور الدين بدر الدين : " للناس إلى الفتن إسراع ولا يستجاب للضعيف دعاء " ، مما دعاء هو والسيد جعفر إلى الإيغال في الشك في ما إذا كان هنالك بعد من سبيل إلى الإصلاح، في حين " يقتفي الأبناء خطى الآباء " . وإذا كان لكل

إنسان في هذه الحياة فلسفته فللسيد جعفر أيضاً فلسفته وتفكيره الذي يميزه عن سواه.

ولا عجب في نعت السيد جعفر بالفيلسوف لأنّ الفلسفة على حد قول المفكر العربي المصري محمود أمين العالم: " هي نشاط فكري يقوم به الناس جميعاً تعبيراً عن تصوراتهم وهي بهذا المعنى موجودة في أنشطة الإنسان ومعتقداته وأشكال سلوكه الإنساني وممارساته المختلفة". هذه الفلسفة العملية عند السيد جعفر هي فلسفة سعادة وهناء وشهوات، فتراه يحض على التمتع باللذات والنيل من حظوظ الدنيا وهو في هذا شبيه الشاعر الفيلسوف عمر الخيام من حيث تماثل الأفكار والاعتقادات والنظر إلى الحياة والوجود يقول الخيام: (١)

قبل خلد غدا وحوور وكوثر أنهر من طلا وشهد وسكر
فعلى ذكرها أدر لي كأساً إنّ نقداً من ألف دين لأجدر
والسيد جعفر يخاطب السيد نور الدين بمناسبة انتهاء شهر رمضان:

وارتح فنفسك قد أطلت عناءها بتضرع وتهجد وتعب
ولها الرصيد الضخم عند إلها نهر من اللذات عذب المورد
فاطلب لها منه لعبدك سلفة وعلى الحساب كما يشا ليقب
كأس وطاس والتهام أطايب وغناء عاهرة وصحبة أمر
والخيام يقول:

أسلك سبيل بني الحانات واسع إلى راح وعود وظبي يبهج النظرا
والسيد جعفر يقول:

قم نجتل اللذات بذكي عودها كأس مشع ووجنة حمراء

(١) أنظر ترجمة رباعيات الخيام لأحمد الصافي النجفي.

ولنستمع إلى قول الخيام حيث يقول:
إشرب الراح فهي روح الروح بلسم النفس والحشا المجروح
والسيد جعفر:

لا تخش من حرج عليك فإنما هي للجراح مراهم وشفاء
والخيام أخيراً:

إختر لدهرك قلّة الرفقاء واصحب بنيه وأنت عنهم نائي
فمن اعتمدت عليه أن تنظره في عين البصيرة أعظم الأعداء
وأخيراً السيد جعفر:

يا منشداً سر الحياة وبشرها لا تخدعنك بلطفها الأسماء
واحذر قرب يد نعمت بلسمها كمنت بها لك طعنة نجلاء
واللافت بعد كل ذلك، هذا الغياب عن شعر السيد جعفر
لأغراض زحرت بها دواوين الشعراء كالمدح والهجاء والغزل والرثاء.
فالمدح وإن احتلّ منزلة رفيعة عند الشعراء لا يعدو كونه في نظر
السيد جعفر غرضاً يشين المشاعر، ولا سيما إذا تجسّم بالكسب
الذي يفقد الشاعر معه إنسانيته دون أن يرفع من قدره.

وإذا ترفع أبو أكرم عن الهجاء المثير للضعينة والكراهية فهو لم
يتورع عن هجاء نفسه دون أن يأبه بما تزينه النفس ذاتها. وإذا كان
في الكشف عن العيوب الذاتية صدق فقليل من الشعراء من يخالف
هذا المنحى (وهنا نذكر الحطيئة على سبيل المثال).

كذلك لم يلقّ الغزل عند شاعرنا أي اهتمام لأنه انصرف إلى
العناية بكل المخلوقات، وفي الرثاء لم نقف في كل ديوانه إلا على
قصيدة يتيمة في هذا الباب نظمها في رثاء صديق عزيز على قلبه، إذا
ما استثنينا قصيدته الشهيرة في "رثاء معزة" ردّاً على السيد نور الدين
عندما رثى تلك "العزة الجرباء".

لكم كنت أود أن أضرب الأمثلة على ما تقدّم غير أنني أثرت أن

لا أفعل لكي لا تفقد القصائد وهجها ووقعها على النفس، وعلى أي حال فتلك مشيئة السيد جعفر الذي كان يأبى إلا أن تتلى قصائده غير منقوصة حتى تلك التي ضمَّنها عبارات "من العيار الثقيل" على حد قوله، والتي ربما تكون هي الأطيب وقعاً على السمع "إذ كلما زادت البهارات الحارة في الطعام كلما طاب طعمه ولذَّ مذاقه".

ولا شك في أن بعض العبارات التي لو سمعتموها ستتمسكون بها لأنَّ الناس - ونحن منهم - يريدون مَنْ يعبر عنهم وعن الممكنون في صدورهم. يريد الناس أن يحمل أحدهم هذا الوزر خوفاً ورهبة. وهل لمهمة كهذه غير السيد جعفر؟ وحافزه ذلك الواقع المؤلم وتلك البيئة التي تطحن مثقفها بقساوة محزنة وصاخبة.

ومن هنا جرأته في القول وتعديهِ الحدود، حدود الدين والأدب باستعماله الكنايات المرة في الطعن والتشنيع على المرائين وأدعياء الزهد والورع.

ذلك هو السيد جعفر الأمين بوجهه الشديد السمرة وعينه اللتين كان يتألق فيهما ضوء غريب ينير عتمة ذلك الوجه. لقد كان حكاية تروى كل مساء وتروي غليل الصحب، يأخذهم بعيداً ليغسل أرواحهم من ظلم الواقع وظلامه.

لقد كنا حوله نحس أنه يتحرق من أنه لم يكن أكثر عبثاً واستهتاراً وسخرية حيث جميع القيم ليست غير تقدير اصطنعه الإنسان، والشقي هو ذلك الذي يدَّعي الفضيلة ويجلس في زاوية معتمة ليعيش مع العفن القاتل.

سيرة حياة وذكريات

بقلم: السيد جعفر الأمين

والدتي أفريقية سوداء، سرقها عربي مسلم مع من سرق من أطفال بين إناث وذكور من أفريقيا الشرقية.

لقد ساقهم في قافلة حزينة كما تساق المواشي إلى مكة المكرمة. وكان هذا أول كأس من الغصص تجرعه الوالدة، والكأس الثاني، كان في مكة المكرمة حيث يذهب المؤمنون، نفعا الله ببركاتهم، ليعتقوا رقابهم، وكان من هؤلاء المؤمنين والمؤمنات في إحدى السنين من ذهب فيمن ذهب، السيد علي محمود الأمين وزوجته المفضلة بين زوجاته أمهات المؤمنين، السيدة علوية، فعتقا رقبتهم وغلا رقبة إنسانة بريئة وجراها وراءهما كما تُجر الأضاحي إلى شقراء، لخدمة السيدة حفيدة رسول الله الذي أرسل رحمة للعالمين.

ويظهر أن السيدة ندمت على جلب هذه العبدة وهي لا تزال بين الرابعة والخامسة عشرة من سنّها، وخافت أن تشاظرها مضجع زوجها، فسعت إلى إزاحتها عنها، فنقلها إلى بيت إحدى زوجاته المسماة (الحاجة نسمة)، وكانت تسكن شمالي بيت (أسعد غملوش) حالياً.

وهذه أيضاً، لنفس السبب وليس لغيره، سعت لإبعادها عنها. فما

كان من السيد المفضل إلا أن قدّمها هدية، أو باعها، لا أدري، إلى الوالد الذي كان في شقراء في ذلك الوقت وحيداً وعائلته في دمشق.

وهكذا انتقلت من بيت علم ودين إلى بيت علم ودين آخر، وضمنت بذلك نعمة المشاركة بالصلاة والصوم، وإن فقدت حريتها وإنسانيتها وكرامتها في كلا البيتين.

استأجر الوالد لسكنى الوالدة بيتاً للسيد ابراهيم أبو الحسن الأمين (بيت السيد فضل الأمين الآن).

وعندما رجع إلى دمشق تركها في شقراء، وأوكل برعايتها وتقديم ما تحتاج إليه إلى ابن عمه ووكيله على أملاكه السيد مهدي أبو الحسن الأمين الذي أحسن الرعاية.

قالت لي ابنة السيد المذكور عام ١٩٨١ إن والدتي كانت مربوعة القامة متناسقة الأعضاء، غير حادة السواد، خفيفة الظل، حلوة الحديث، طيبة القلب، تغطي جسمها وهي خارج البيت بملاءة سوداء (شرشف)، شأن نساء رجال الدين في ذلك الوقت، قبل أن يتزوج رجال الدين من آل الأمين بالعراقيات اللواتي حملن معهن العبادة المعروفة.

لم تزد إقامة والدتي عند السيد علي محمود الأمين عن سنة أو أقل من ذلك، وكان إخراجها من عهده ثالث كأس من الغصص والمهانة تجرّعته، وإن كانت أقل مرارة من سابقاتها. وأثناء إقامة والدتي القصيرة في شقراء حملت من الوالد.

ومرت شهور الحمل، فإذا بها تلد طفلاً. فأرسل السيد مهدي إلى دمشق يخبر الوالد بالحدث ويطلب منه الإسم الذي يريده للطفل، فأناه الجواب بأن سمّوه (حسن) وهكذا كان.

وبقيت على هذا الإسم بضعة شهور، وكانت والدتي تلفظ هذا الإسم كما حكى لي هكذا (كسن) بلكتها الأفريقية.

وجاء موعد تجرُّع كأس الغصّة الرابعة. فقد ولدت خالتي بعد مولدي بشهور، طفلاً لم تستنسب أن تسمّيه إلاّ بـ "حسن" كأنّ أسماء الأئمة الأحد عشر الآخرين من الأئمة المعصومين وأسماء الأنبياء التي تعد بالآلوف وأسماء مشاهير الأعراب والأعاجم كلها اختفت عن الشاشة، ولم يبقَ إلاّ إسم الجلالة (حسن). وما ذلك إلاّ نكاية بوالدتي ولإشغال بال والدي الذي أتى لها بهذه المصيبة. ليس فقط للمزاحمة على الفراش كزميلتيها السابقتين الفاضلتين صاحبتَي العصمة، بل لاحتمال مشاركة هذا البندوق أولادها في المستقبل حمل إسم العائلة والمشاركة من بعد بالميراث إذا فلت ولم ينتقل إلى رحمة الله بالتمويت البطيء.

عارض الوالد هذه التسمية، إذ كيف يسمّي ولدين له باسم واحد؟ إلاّ إذا حُلّت المشكلة فسمّي أحدهما حسن الأبيض والآخر حسن الأسود، كما حلّ الأجداد سلام الله عليهم بتسمية ولدي الحسين بـ "علي الأكبر" و"علي الأصغر"، وصاحب العادة يسمّى صاحب العوايد. ثم ما هي الضرورة وما هذا المنطق الذي يبرّر نزع إسم عن ولد لتسمية ولد آخر به ؟

وكان حل المشكلة أخيراً بالطبع على حساب والدتي، فعاد وأرسل الوالد إلى السيد مهدي أن غيِّروا الإسم من حسن إلى جعفر. وهذا ما عزّز كثيراً على والدتي وقاومت التسمية الجديدة.

ولكن كان لا بدّ لها من تجرُّع الكأس الخامسة، وكانت هذه في الوقت نفسه، الكأس المرة الأولى في حياتها الجديدة. فرضخت للأمر الواقع ووطّنت نفسها على مناداتي بالإسم الجديد على مضض. بقيت والدتي في شقرا أقل من سنتين ثم استدعيت إلى دمشق، فحملتني معها، وكل ما أتذكّر من حياتي الأولى أنني لم أع نفسي إلاّ وأنا في دمشق. ورافقها في انتقالها إلى دمشق محمد زين الخطيب من المقرّبين إلى بيتنا.

وحان موعد تجرُّع الكأس السادسة وهو أكبرها حجماً وامرأها
طعماً، فطردت من البيت وكانت قد ولدت طفلة كان من حسن حظها
أن ماتت قبل طرد والدتها ورميها في الطريق بلا معين أو مجير. لقد
كانت كؤوس الغصص مهياًة سلفاً، وعلى كل كأس كُتِبَ موعد
تجرُّعه، علماً أن لا تكون الجرعات بعيدة عن بعضها.

كيف كانت تُعامل والدتي في البيت الذي سبقت إليه؟ لا أدري...
ومن الأكيد أنه لو تُرك لوالدي الخيار، لترك والدتي في شقرا، ولكن
أن تعيش حرّة في بيت وتقدّم لها أسباب الراحة، والضرة مرة، فهذا
لا يجوز. فلتستقدم إلى دمشق، فإن لم تمت فقراً فلا بد أنّا ستموت
قهرأ.

أذكر أنني كنت وإياها في البيت مدة ما، ولكن لا أذكر كيف
كنت أعيش وإياها فيه. كل ما أذكر بعد أن فُرق بيني وبينها أنني كنت
أستدرج خفية من قبل بعض الجيران فيقودني أحدهم أو إحداهن من
بيتنا في (دخلة الشرفا) إلى بيت لصق بيتنا لآل الجمال حيث تكون
والدتي قد قدمت إليه من مكان سكناها الذي كنت أجهله ولا أزال،
فالتقي بها فتضمنني إلى صدرها وأبكي وتبكي، ونبقى على هذا
الوضع حتى يلفت انتباهنا أصحاب البيت إلى أن هذا فيه الكفاية
خوفاً من أن يشعر من يعنيه الأمر بهذا اللقاء السري فتقوم القيامة
وينتصب الصراط، فأحمل ما تكون قدّمته إلي من حلوى متواضعة
فأخبئه في جيبي وأعود إلى البيت خائفاً وجلاً.

كم هي حرقة وحسرة أن يُفَرَّق بين أم وولدها وهي التي ليس لها
في هذه الدنيا الواسعة من قريب إلا هذا الطفل الضعيف الذي لا
يعرف ماذا يأكل وكيف ينام وكيف تؤمّن له الرعاية، وهذا الطفل
الشهيد بدوره لا يعرف معنى القبلّة ولا معنى الحنان في هذه الدنيا
التي ليس لها حدود إلا من هذه الشهيدة التي أُطلق عليها بوقاحة
وبهتاناً إسم "سعيدة"!

وأمي في غفلة عمّا يحيك لها القدر من المآسي المتتالية، لقد أبعدت عنها إلى شقرا دون أن تتمكّن من وداعي ولو بنظرة أو تزودني ولو بقبلة واحدة أنا وحيدها وفلذة كبدها ومبلسم جراحها. وقد بلغها خبر إبعادي عنها وأخذت تبكي وتنوح وقد أقفلت أمامها أبواب السموات والأرض، وليس أمامها إلاّ الجدران تناجيتها وترفع إليها شكاتها.

فيا للقلوب المتحجرة ويا للوحوش الكاسرة، وهكذا جرعت للمرة السابعة كأس المرارة المترع.

لم تكن حياتي في البيت بأسعد من حياتها في تشردّها، فكلانا يشكو الحرمان وفقدان الحنان ومرارة الفراق. وشغلّنتني حياتي المضطربة فيما بعد عن تقصّي أخبارها، وأخذ الذين يعرفون عنها بعض الشيء يغيّبهم الموت الواحد بعد الآخر.

وها أنا أحاول أن أدوّن بعض ما علق بذهني وما بقي في ذاكرتي مما قصّ لي عنها قبل أن يغيّبني الموت بدوري. لعلّ مَنْ يأتي بعدي من أولادي يريد أن يعرف عنها شيئاً فأتّرك له معرفة بعض ما يريد...

أثناء الحرب العالمية الأولى، انتقلت العائلة بكاملها من دمشق إلى شقرا بسبب ضيق الحال في تلك الأيام في المدن من ناحية المواد الغذائية. وصدف أنّ الوالد كان قد ذهب إلى شقرا وباع كامل الغلّة وعزم بعد ذلك أن يأتي بنا إلى شقرا، فأرسل الشيخ محمد حسن مروة وهو خال الخالة^(١) لجلبنا إلى الشام. فصُنعت لنا هوداج خشبية وهي ما كان يُسمّى بـ(الكجوات) كل هودجين يحملهما جمل واحد على جانبيه تجللّهما أغطية من أعلى، وقد حملنا نحن الصغار والنساء على جملين، أما مَنْ بقي من أفراد العائلة والمرافقين فلا

(١) زوجة أبيه.

أذكر كيف كان وضعهم أثناء السفر. وكانت الجمال التي نقلتنا
لجماعة من أهل الطيرة كانوا في الشام لسبب من الأسباب، وكان
بدء السفر باكراً من أحد الخانات.

وأذكر من أسماء البلدان التي مررنا بها: الغجر، وقد نمنا فيها
ليلة كما أننا قد نمنا قبلها ليلة في بانياس ومررنا ببلدة بيت جن
ومررنا فوق جسر إسمه جسر الحاج حسن، وأذكر أنه استولى علينا
الرعب ونحن نمر فوقه وكأننا فراخ في عش على رأس شجرة يهزها
الريح.

قالت لي إحدى الأخوات، وهي أم زيد، أنه أثناء الطريق وقد
نزلنا في مكان للغداء، وإذا بيدوي يمر بنا ويرانا على شيء مما يلفت
النظر من رفاه نسبي ونضارة، فسأل:

- منين جاين؟

- فقلنا له: من الشام.

- فقال: الشام أم الدنيا؟

- ثم سأل: لوين رايعين؟

- قلنا: إلى بنت جبيل.

فعاد وقال متعجباً: من الشام أم الدنيا لبيت أم جبيل!!

أذكر أننا وصلنا إلى شقرا من جهة الشرق، ولا يزال عالقاً في
ذهني ونحن لم نصل بعد إلى البركة وفي الجبل المقابل لجبل (زكو)
من الشمال حيث كان المستقبلون السيد علي رضا الأمين وهو فتى
يجول على فرسه ذهاباً وإياباً، وهي من تقاليد الفرسان في تلك الأيام
في استقبال أصحاب الشأن.

لقد كان تعداد عائلتنا في ذلك الحين إثني عشر شخصاً، خمسة
ذكور وأربع بنات والوالد والخالة. الأولاد كلهم من أم واحدة ما
عداي وما عدا بنت واحدة كان اسمها رؤوفة من أم كانت زوجة

للوالد لفترة قصيرة. وهذه الزوجة هي بنت السيد حسين جواد الأمين، أخرجت من البيت بالطلاق وبقيت ابنتها حيث عشت وإياها فترة نتقاسم الحرمان والإذلال، وكانت أحسن حظاً مني فاختطفتها يد المنية ومسح الموت جراحها، أما أمها فلم تكن أحسن حظاً من أمي، فمع وجود أبيها وأمها والأقارب والآخرين، فقد كانت عاترة الحظ، فتزوجت من جديد زواجاً غير موفق ولم يرحمها من نكد العيش وسوء المعاشرة إلا يد الموت الذي إذا كان هناك من ترحمها عدالة أخيرة في الأرض فإنّه وحده الذي يوزّع على الجميع بالقسطاس. فهو الرحيم بالمستضعفين والقاهر للطغاة ولو بعد حين.

في شقرا كنا نسكن كلنا في غرفة كبيرة واحدة، كان لها سدة خشبية ينام قسم منا عليها، وتحت السدة فُصل قسم من الغرفة لوضع فراش النوم والمؤونة والأواني، وفي إحدى زوايا الغرفة (داخون) للطبخ والخبز والتدفئة أيام الشتاء، وعلى الجدران رفوف لوضع بعض الأشياء الدقيقة وغيرها، ووراء باب الغرفة الذي هو من مصراع واحد، طاقة كبيرة توضع فيها جرة الماء فوق إكليل من البابير، ويجانب آخر رف صغير خشبي مثقوب بشكل دائرة يوضع عليه إبريق الماء، وأمام الباب من الداخل منخفض مستطيل الشكل وبعمق عشرة سنتيمترات لوضع الأحذية عند خلعها، وقد اضطر الوالد بعد أن برد الطقس أن يبني من الحجر ما يشبه الكوخ، كان يستقبل فيه لفترة زائره ثم حوّل إلى ما يُسمّى مطبخاً.

ولم تطل المدة حتى اشتدّ الضيق بالناس واختفت المؤن وانتشرت الأوبئة ومنها وباء الكوليرا الذي كانوا يسمونه (الهواء الأصفر) وكثر الموت وهرب مَنْ هرب إلى البراري حيث نصبوا الخيام خوفاً من العدوى. وانتقل آل الأمين بأجمعهم إلى صديقين وإلى مزرعة نبحا، حيث يقل الناس، وبقينا وحدنا من هذه العائلة في شقرا، ولولا

حض الوالد لمن يلتقي بهم لحمل الأموات من منازلهم والمشاركة
بالحمل لدفنهم لبقى الكثيرون بدون دفن، إذ كان الأحياء يتهربون من
الدنو من الأموات خوف العدوى. وممن عرف بالجرأة والهمة في
المشاركة بهذا العمل السيد علي عاشور.

من ذكريات تلك الأيام العصيبة أذكر منظر الجراد الطيار الذي
كانت رفوفه تأتي على الأخضر واليابس من المزروعات والأشجار،
كما أذكر كيف كان الناس يسلقون البلوط ويأكلونه مسلوفاً أو يجففونه
بعد السلق ليصنعوا منه طحيناً بعد أن اختفى القمح والشعير
والعدس، وكيف كان الفقراء يطبخون ما يقع في أيديهم من قليل
البيقة والكرسنة والحلبة لسد جوعهم، وكيف أنهم أحسوا بالفرج قليلاً
عندما أنبتت الأرض عشبها فأخذوا يقتاتون به أخضر أو مسلوفاً
وليس عليه من المقبلات غير الملح.

إنَّ مَنْ كان يفلت من الأطفال من الموت بسبب الجوع والمرض
كان يُرى في الطرقات بحالة شديدة من الهزال يمشي وهو منفوخ
البطن على ساقين دقيقين يشبهان ساقى الديك.

ودعت الحاجة بعض الناس إلى بيع قطعة الأرض بمد من الشعير
ليقتات به حفاظاً على حياته، وراح البعض يطبخون بعض الحبوب
في طناجر كبيرة ويبيعون الوقعة الواحدة بكل ما يحمل الفقير في جيبه
أو يأكل عدة وقعات مقابل قطعة أرض بكاملها.

وكان من المألوف مشاهدة الدرك وهم يطاردون المطلوبين للجندية
في الطرقات وفي الحقول وفي زوايا البيوت، فإذا وقع البعض في
أيديهم، وكان القادر من أهلهم على الدفع يتوسط وجيه البلدة على
إطلاقه بأن يدفع مبلغاً من المال يتقاسمه الوجيه مع الجند أو أن
يتدبر المقبوض عليه أمره بنفسه أثناء سوقه في الطريق فيساوم أحد
الجند على بعض ما في جيبه من نقود فيسهل له الجندي المرتشي

الفرار، وكان بعض المقبوض عليهم تشفع له أخته الحلوة أو أمه إذا كانت لا تزال فتية، وبعض المرات زوجته عند الوجيه، فيغض الجند طرفهم عنه إكراماً لسواد عين الوجيه الذي لم تكن نفسه تعفت عن شيء، وكعفراريت سليمان الموكلين بإشعال حمام طبريا (أخضر يابس هات).

أما مَنْ لم يرزقه الله مالاً ولا أختاً حلوة ولم يكن يملك سيقان كسيقان الغزلان للهرب، أو حيلة للتخفي كالثعالب، فقد كان يساق تحت سياط الجند. وقلماً كان يصل إلى الجبهة، فإذا وصل لم يكن ليعود منها بسبب ما يتعرض له من الجوع والمرض والمشقة، أو إذا تمكّن من الهرب لم يكن ليسلم من قطاع الطرق، إذ كانوا يقتلون من أجل ثوب أو بضع دريهمات أو القتل لمجرد القتل لا سيما إذا عرف أنَّ عظمه أزرق ومن جماعة أبو ذنب^(١).

كانت كلمة السر بين الأهليين في شقرا للإعلام عن قدوم الدرك للقبض على المطلوبين (الذراية) أن يصيح أول مَنْ يراهم (خرا واوي، خرا واوي) فيعلم مَنْ يعينهم الأمر بقدوم الدرك ويأخذون بالإختفاء هنا وهناك بعيداً عن الأنظار. ولكن كلمة السر هذه انكشفت أخيراً فاشتد الخناق على المطلوبين.

وكان بعض الشباب معفيين من الخدمة العسكرية إما لدفعهم ما كان يسمى (البدل) وهو مبلغ معين من المال يقوم مقام واجب الخدمة، أو أنَّ آخراً غير مطلوب قام بواجب الخدمة عنهم، وكان بعض هؤلاء المعفيين يحملون ورقة إعفاء كانت تسمى (وثيقة) يبرزونها عند اللزوم. وكان بعض المطلوبين يبرزونها عندما يخرجون من بيوتهم خوف أن يصادروا إذا التقوا الدرك، وكانت تقع بعض

(١) أي من الطائفة الشيعية.

الأغلاط من المستعيرين هؤلاء فلا ينفعهم ما استعاروا، ومن ذلك أن
المسمى السيد عبد الهادي أحمد الأمين أعار وثيقة إلى شخص آخر
اسمه عباس الحاج علي زين فالتقى هذا دركياً فوجئ به فأبرز
الوثيقة، فسأله الدركي:

- إسمك؟

- السيد عبد الهادي.

- أبوك؟

- الحاج علي زين.

- كيف تكون أنت سيد وأبوك حاج؟ محتال!

ومن سوء حظ عباس أن الجندي يعرف التقاليد الشيعية. وكان ممن
يُغفون من الخدمة العسكرية أيضاً المعلمون وطلاب العلم الديني
و(ركاب) المطاحن.

وأدرك أخي الأكبر سن الخدمة العسكرية فسعى له الوالد فعين
معلماً في مدرسة شقرا فنجا منها ولم يذق مرارتها.

وبما أن الجيش العثماني كما كانوا يقولون عنه، نصفه هارب
والنصف الآخر الباقي كان يتعقب الهاربين منه للقبض عليهم، لذلك
خلت الجبهة ممن يدافع عنها، وزحف الجيش الإنكليزي من سيناء
نحو الشمال وبقايا الجيش العثماني تنهزم أمامه.

وكنا نرى في أواخر الحرب العالمية الأولى شراذم الجيش المنهزم
تمر في شقرا وأفرادها في حذر من الأهليين، حيث كانوا كثيراً ما
يتعرضون لمهاجمة بعض الأهليين لسلبهم أسلحتهم وربما ثيابهم كأنهم
لم يعودوا جنود خليفة المسلمين وحامي الحرمين الشريفين وخاقان
البر والبحر. لذلك كانوا يسيرون جماعات جماعات للتمكن من
الدفاع عن النفس في مسيرتهم الطويلة إلى الأناضول بلادهم الأصلية.
وكنت أسمع بعض النساء اللواتي كنّ يجتمعن في بيتنا يتحدثن أنه

النساء

غداً عندما يأتي الفرنج سيجبرون على خلع مناديلهن وكشف شعرهن وتعلن: الله يساعدنا على تلك الأيام.

وفي إحدى الليالي في أواخر الحرب العالمية الأولى، أقمنا سهرة لجرش السמיד وتحويله إلى برغل، وتسمى هذه السهرة (جراشة)، وذلك بأن تجمع كمية من جواريش القرية في بيت صاحب السهرة حيث يجري جرش السמיד الذي في حوزته دفعة واحدة، إذ لم يكن في تلك الأيام مطاحن عامة لجرش السמיד، ثم توجه الدعوة إلى صبايا القرية ونسائها للمساعدة، فتجلس كل اثنتين إلى جاروشة ويبدأ الجميع بإدارة الجواريش وتوضع بين حين وآخر قبضات من السמיד في فوهاتهما فيسمع لها إذا دارت صوت رتيب وخشن، وتأخذ الصبايا بالغناء والمساجلات.

وفي البيوت الأخرى غير بيوت آل الأمين المحافظة، يتحلق الشباب حول البيت الجارش، والأكثر دالة يقف في ساحة الدار وفي زوايا الغرفة حيث يجري الجرش فيزداد الجو حرارة وينشطه الغناء وتسعى كل فتاة إلى إظهار أناقتها وظرفها، وتنتهي الجراشة بتوزيع ما استعد له أهل البيت لتكريم الحاضرين وذلك بإنزال قدر كبير عن النار وقد سلقوا فيه كمية من الذرة الصفراء أو القمح وهو ما يسمى (قلبة)، فيأخذ كل نصيبه، وفي بعض الأوقات كان يوزع التين المجفف أو راحة الحلقوم وغير ذلك.

انتهت سهرة الجراشة وانصرفت الصبايا وبقيت بعض النساء ذات العلاقة الحميمة وإذ بمحمد زين الخطيب يطرق الباب ويطلب المقابلة، ويسر خبر وفاة والدتي ثم يسلم أهلي بعض الأغراض الصغيرة مما خلفته لا أذكر منها غير علبة صغيرة معدنية مدهونة وعليها تصاوير، طلبتها، وكانت لم تسلم لي بعد أيام، مني أختي الكبرى وكان ذلك لأخذ العلم فقط.

وخيم عند تلقي الخبر على الحاضرات السكوت، ومن حديثهن
فقط علمت موضوع قدوم الرجل، فكانت أنظارهن متجهة نحوي
يراقبن وقع الخبر علي، وطبعاً تجلّدت وإن كان قد وقع علي الخبر
وقع الصاعقة، ولكنني كنت اعتدت على التجلد وكظم ما في النفس
من أسى وأرسلت زفرات دون أن أبكي، فالتفتت إحداهن إلى الخالة
وقالت: إنه حزين ويتنهد، فأجابتها الخالة: إنها عادة فيه.

وهكذا بكل بساطة تموت أم ويُسَمِّ طفل دون أن ترف لإنسان عين
أو يتأثر قلب أو تقرأ فاتحة أو تطلب رحمة. فإن كان هناك من مات
عطشاً فقد ماتت بأشد من ذلك، ماتت مقهورة، عطشى إلى كل
شيء. وإن كان هناك من يسمى بسيد الشهداء، فهي أميرة الشهداء
وقديسة القديسات، لقد قضت وفي قلبها حسرة وفي صدرها غصة:
وكم حسرات في نفوس كرام.

كان محمد زين الخطيب هذا أخاً لخالتي من الحليب، وطبعاً
كانت أمه هي التي أرضعت خالتي أو إحدى أخواتها أو إخواتها، إذ
لم تجر العادة أن ترضع سيدة من آل الأمين أحد أفراد العائلات
الأخرى في شقرا الذين كان يطلق عليهم ازدراء إسم (فلاحين) رغم
أن أكثرهم أشرف من نسل الرسول، بل كان أمر الرضاعة عكسياً،
ولقب السادة أو السيادة يُقصد به آل الأمين فقط. فكان محمد زين
المذكور ينادي كلاً من أخوتي وأخواتي: يا خالي، وكان يشملني
معهم بهذا التعاطف وكان هو الذي أوصل والدتي إلى دمشق عند
انتقالها من شقرا، وكان كلما ذهب مكارياً إلى دمشق يتصل بها
ويأتيني منها ببعض المجيديات وهي عملة فضية كبيرة سميت بهذا
الاسم نسبة إلى السلطان العثماني الذي صكت في عهده واسمه عبد
المجيد، وأجزاؤها من الفضيات: النصف مجيدي والبرغوث ونصف
البرغوث، ولا أدري إن كانت لقاءاته المتكررة بوالدتي تمت بعلم

الوالد أو لا ، وهل كان يصلها شيء بواسطته. وكان هو آخر من حمل إلى مخلفاتها المتناهية في التواضع والبساطة والتي لم يصل إلى يدي ما نقله إلي ، وكنت كلما التقيت به أو زرتة في مناسبة فيما بعد أشعر وكأنّ طيف والدتي يحوم حولي ، وكنت أنتظر الفرصة لأجلس معه مطولاً وعلى انفراد كي يحدثني عنها. ومرت الأيام وكل يوم أؤخر ساعة اللقاء إلى يوم آخر حتى اختطفه الموت دون أن أبلغ غايتي. وعدت ووضعت أملي بزوجته الحاجة لطيفة التي كانت تعرف عنها الكثير سواء أثناء إقامة والدتي في شقرا أم بعد سفرها وهو ما كان يقصه زوجها عليها.

وأصابني معها ما أصابني مع زوجها ، تأجيل جلسة الاستفهام من يوم إلى آخر حتى اختطفها الموت بدورها وبقيت على هذه المعلومات الضئيلة...

ومرت الأيام في شقرا رتيبة ، وأذكر أننا كنا نذهب ونتعلم على يد أسعد علي موسى سليمان وكان يحضر أخي الأكبر كمعلم أيضاً تهرباً من الخدمة العسكرية ، وكان جلوسنا طبعاً على الأرض فوق الحصر ، وكنا نكتب على ألواح التنك ومددانا التراب الأصفر المذاب بالماء.

ولما انتهت الحرب عين الشيخ محمد علي الحوماني معلماً رسمياً لمدرسة شقرا وكان ظالماً يتلذذ بضرب الأولاد لسبب وبدون سبب ، ولم تكن حياتي مريحة وكنت أقبل الحيف بصمت وصبر إذ لم يكن باستطاعتي التمرد ، إذ لا قريب ألتجئ إليه لحمايتي. أما والدي فلم أرد إحراجه إذا شكوت الأمر إليه والذي لم يكن وضعي ذلك خافياً عليه. وكنت في البيت علي المغرم ولغيري المغنم. وكان والدي يعلمنا بعض الدروس كالقراءة والخط. فكنت أستدعي ونحن في الدرس من بين أخوتي لقضاء بعض حاجات البيت ، وكنت أشعر أنه كان يسكت عن استدعائي على مضض. فأنا الذي يذهب إلى الساحة

لشراء اللحم أو البرتقال والذي يذهب لجلب الجمر من عند الجيران
لإشعال النار، وأنا الذي يملأ الإبريق من بثر السطح وغيره. والذي
يجمع أزهار النبتة المسماة "لسان الثور"، وأنا الذي يذهب حاملاً
أحذية العائلة وقباقيبها إلى الإسكافي لإصلاحها مع العلم أن الأحذية
والقباقيب واللحمة كانت تعاد عدة مرات إلى من يعينهم الأمر لإعادة
النظر فيها وتحسينها حسب تعليمات تجدد في كل إعادة، ولم يكن
يفيدني تكليف غيري بهذه الأمور إذ لا بد من أن أبقى شريكاً فيها أو
تختلق لي أشغال غيرها مع الغداء الذي كان يخلو من لقمة ترفيه أو
كساء يحسن السكوت عليه من حيث الجنس أو التفصيل أو الجودة.

والذي لا يمكنني إلا أن أنوه به هو أن علاقتي مع أخوتي كانت
أحسن ما يرام من تعاطف ورفق وكذلك مع أخواتي ما عدا الكبرى
والصغرى اللتان كانتا تظهران نحوي الترفع والجفاء في بعض
الأحوال، فالكبرى كانت تعد نفسها نائبة والدتها والصغرى الأكثر
دالة عليها.

تحسنت معرفتي للقراءة قليلاً، فبسبب سوء معاملة المعلم وسوء
المعاملة في البيت تقدمت في المعرفة ببطء وإن كانت قد تحسنت
شيطنتي وصرت ماهراً بسد النقص بكل شيء وبوسائلتي الخاصة وصار
بإمكانني الانتقام لنفسني بشكل (لا يجوع الذيب ولا يفنى الغنم) كما
يقول المثل.

دخل الفرنسيون البلاد وسرت بواسطة التحريض موجة وطنية
طائشة، فالذي لم يكن بإمكانه الوقوف بوجه الفرنسيين كان بإمكانه
أن يهاجم دركياً على انفراد باسم أنه يتعاون مع الفرنسيين فيسلبه
حصانه وأسلحته أو يهاجم قرية مسيحية فيسلب منها ما تقع عليه يده.
ومرة رأينا جماعة من المسلمين بعضهم رجالة وبعضهم فرساناً وعلى
رأسهم صادق حمزة بحالة اقتحام يلاحقون دركيين اختبأ في شقرا

أحدهما على ما أذكر يلقب بالغساني. ومرة أخرى زملاء لهؤلاء
ومعهم أسرى من قرية مسيحية أفرجوا عنهم فيما بعد وزغردت لهم
إمرأة اسمها جميلة زين الدين أصبحت زغرودتها مثلاً يضرب إذ اعتبر
أهل شقرا أن الغرامة التي دفعوها من بنادق وليرات ذهبية كانت
بسببها.

كما أنني لا أزال أذكر كيف كانوا يبالغون بكره أهل عين إبل
للمسلمين وحبهم للفرنسيين بنصبهم صورة للرسول وجعلها هدفاً
للمماية وكيف أنه في يوم من الأيام وهو يوم السوق العام في بنت
جبيل، هيج البعض الناس وهاجموا عين إبل وقتلوا من قتلوا ونهبوا
ما نهبوا ثم كيف أخذت القرى الأخرى كل بدورها تذهب إلى القرية
المنكوبة فيحمل ما خلفه السابقون من أشياء قلّت قيمتها وعظم حملها
حتى لم يبق باب ولا درفة شباك ولا رف إلا وحمل. وكان آخر من
غزا البلدة أهل شقرا. قال لي أحد الواعين لتلك الأيام أنه رأى
الحاج درويش حجازي راكباً على حماره وأمامه لوحة صغيرة. سأله
ما هذا؟ قال له: " كنت في عين إبل، يخرب بيت هالناس ما خلوا
شي، فتشت كثير ما لقيت غير هاللوحة"....

ملاحظة:

ختم السيد جعفر هذه الذكريات بعناوين ثلاثة:

١ - حكاية صادق حمزة في شقرا، وكم مرة أتت العصابات إليها
وماذا فعلت.

٢ - قصة جميلة والزلغطة .

٣ - الغرامة على شقرا

إلا أنه على ما يبدو لم يتسن له أن يكتب شيئاً عن تلك المواضيع
فظلت عناوين بلا تفاصيل علماً بأنه كان قد انصرف إلى دراسة

عناوين

المحيط العاملي ودراسة تقاليده التي أخذت بالانقراض ومن ذلك جمعه للأمثال العاملية وشرحها وبيان قصة كل مثل وأصله والتعليق عليه مما كان يمكن أن يؤلف تاريخاً عاملياً فريداً ولكنه توفي وهو في بداية عمله فلم يبرز من ذلك إلا القليل^(١) .

لقد كان مولعاً بهذا الأمر وذلك يتبدى في ما نظمه من قصائد لا تكاد تخلو واحدة منها من أكثر من مثل من الأمثال السائرة^(٢) .

(١) أنظر: أعيان الشيعة - مرجع مذكور.

(٢) أنظر : لائحة الأمثال في نهاية الديوان.

رأي في الشعر والأدب

لم يكن السيد جعفر الأمين شاعراً فحسب، فبالإضافة إلى ذلك كان ناقداً للأدب بعامة وكانت له مأخذ كثيرة على شعراء ذلك الزمان وعلى أشعارهم وما تتضمنه بخاصة.

يريد السيد جعفر للشاعر أن يكون واقعياً ومنحازاً إلى قضية الإنسان معبراً عن تطلعات الناس وأمانيتهم. وهو يدعو المثقف بحزم وصراحة إلى "النزول إلى السوق" وأن يهجر "برجه العاجي" كما دعا إلى ذلك الأديب العربي الكبير عمر فاخوري ومن هنا قوله:

"نريدك أن تكون رسول حقٍّ تشمّر للجهد وللغلاب
وتهجر برجك العاجي حتى تُحس بما يحس ابن التراب
وتشعر كم يعاني من رزايا وكم يُسقى المرير من الشراب
فتجعل علمك الموفور وقفاً على حلّ المشاكل والصعاب..."

ولم يكن هذا الموقف مستجداً ولا هو ابن يومه (عام ١٩٤٦). فنحن إذا ما عدنا إلى العام ١٩٣٦ لتبدى لنا هذا الالتزام الصارم بوضوح تام من خلال تلك المقالة التي كتبها والتي يجاري فيها أفكار وآراء كبار نقاد الأدب الواقعيين والتي أرادها السيد نور الدين أن تكون مقدمة لأشعاره القصصية الغرامية المحرمة. نظراً إلى "طرافتها" من جهة وإلى ما تضمنته من دعوة حارة للشعراء كي يبتعدوا عن الاجترار والتقليد.

فتحت عنوان: "القرود في عين أمه غزال" كتب السيد جعفر يقول:

... وكرجل ديني واجتماعي في آن واحد، يغار على الدين والفضيلة من أقوال السوء وعلى المجتمع والبشرية من دعاة الهدم والتدمير، لا يسعني إذا أردت أن أساير معتقدي وأرضي الله والضمير إلا أن أكتب بدل التقرير "إخبارية" عنك للحكومة، وبدل الاستحسان "استنكاراً" لرجال الشريعة، فتقع بين نارين، فإن نجوت من سجن تلك، وقعت تحت وابل من لعنات هؤلاء فتلحق بسيدك إبليس، وتبقى كلمة الله هي العليا.

ولكن لا، سأطوي سجادتي الآن وأضع كتاب "الدين والأخلاق" على الرف، وأتكلم باسم القلب وما توحيه الطبيعة والحقيقة، إذ لا يليق بي أن أكذب وأرائي وأنت تحمل مشعل الصدق والصراحة عالياً!!

هل سمعت بالشاعر الفرنسي "بودلير" صاحب كتاب "زهرات الشر"؟ أما أنا فقد سمعت به، ولا أقول قرأت عنه، لأنَّ ضبط إخراج حروف القلقلة من دال وقاف وطاء، وإحكام لفظ التنوين بغنة وبغير غنة وفك رقبة زيد وكسر رجل عمرو، كل ذلك شغلني عن تعلُّم لغته واستقاء الماء من مثبَّعه... وما وصلني من أخباره فهو من فضالات موائد أهل الأدب، والشحاذ لا بد وأن يكون عنده بعض الذوق في تخيّر الأطعمة. ويكفيك علماً به عنوان كتابه، فهو قصيدة، وقصيدة طويلة تُطلُّ منه على عوالم وأكوان صاحبة الحياة، عنيفة الأهواء، تعلم منها لماذا خُلقت وكيف يجب أن تعيش، فهو إذن شاعر افكر ونظم، أما أنت فقد افكرت وعملت ونظمت...

لا تقل "مرسي مسيو" وتهز برأسك كالحرذون في حرّ آب، ولا تحسب أن طربوشك المزقّت أصبح برنيطة، فتهم برفعه للوداع، كأنَّ

الباخرة "شمبوليون" بانتظارك لتذهب بك إلى فرنسا للدخول في
"الأكاديمي" بين الأربعين عضواً الخالدين. فأنا لا أقول إنك مثله،
فتاريخك وأمتك لا تلد مهما سمت إلا أنصاف رجال وأشباه عظماء.
ولكنك أنت وفي قوم مثل قومك لـ "بودلير" وزيادة، "والقرد في عين
أمه غزال"...

لقد شعبنا تقليداً ومللنا السير وراء الغير كقطيع الغنم، تمشي
ورؤوسها بين أرجلها، همها تتبّع الخطى والسير على الجرس، وهي
لا تدري إلى المرعى تُساق أم إلى المسلخ. والطريق التي سار عليها
العم ابن أبي سلمى لا نزال نغوص في أحوالها، وكما كان يعشق
مولانا "الشريف الرضي" بالتلفزيون حيث يقول من بغداد مغزلاً
بدوية في أقاصي اليمن:

سهم أصاب، وراميه بذى سَلَمٍ من في العراق لقد أبعدت مَرَمَاكِ
كذلك لا نزال نتغزل بالحسان والغيد ولو من وراء ألف ألف
حجاب... فلا ترى إلا شعراء مسخرين ومقلّدين جعلوا قلوبهم عربات
لنقل الموتى أو مخازن لبيع الطبول والزمور وصياغة الأوسمة،
وسابقوا "هوليود" في شهرتها فكانت أفكارهم "استوديووات"
لإخراج المناظر الكاذبة. ضمن جنازة ذاهبة إلى دار البقاء وعروس
مُساقاة إلى دار الهناء، ويا جبال تدكدكي ويا دموع سيلبي دماً أو "
عندما" - على لغة الحوماني - واقرعي يا طبول ويا أرض اكتسي
حُلل السندس. وهكذا فلا تنتهي من قراءة إحدى قصائدهم إلا وقد
أغمي عليك من رائحة الكافور، أو عمي بصرك واحترق جسمك بين
عريس كالقمر وعروس أين منها شمس الصباح...

وما تأمل من أناس يقولون: ماذا ترك الأول للآخر؟ ومن قوم
يحسبون أنهم أصبحوا حواشي في هامش كتاب الحياة؟
لقد فتحت فتحاً جديداً وسرت في طريق ما سار عليها غيرك،

والإنسان الحي يأبى السير إلاً على نور قلبه وضياء بصيرته ولم
أوصله ذلك إلى جبل المشقة أو رفعه على " خازوق " .
فبينما نحن بين ركام من الرمم المتفسخة والعظام النخرة والقبور
المبعثرة الأحجار، إذ بزاوية من تلك الزوايا المهجورة تموج، وإذا
بيد ترتفع منها تحمل باقة من الزهور الريانة زاهية الألوان، فواحة
الأريج، فكانت تلك الزاوية قلبك، وتلك اليدُ قلمك...
فما نظمت هو حال كل إنسان، ومن اعتصم وراء جُبْنه ورياء
فأنكر عليك ما قلت، فليذهب إلى المريخ حيث عالم الأرواح. أما
أن يكون على الأرض، ومن لحم ودم، فما يُضل إلاً نفسه ولا
يدوس إلاً قلبه...

كُلْنَا، كُلْنَا يجاذبها الوصل / ويجني اللذائذ الأبكارا
إنما ذاك يرفع الصوت في النادي / وذا يلقي عليه ستارا
فانهب العيش لا أباً لك نهباً / واطرخ عنك وجهك المستعارا
فَيز في طريقك لا هداك الله لمرضاته بعد الإنعام عليك بلقب
"بودلير" جبل عامل، وبوسام: تَبَّتْ يدا أبي لهب وتب...

جعفر الأمين

أول نيسان ١٩٣٦

رسالة

"ابن العمة الشيخ محمد جعفر همدان العراقي الجنسية والإقامة
والعائلي الأصل، جاء من النجف بزيارة إلى لبنان وهو يروي جزءاً
من رحلته".

تحية:

أهديك يا جعف السلام كأنه ذاك النسيم العذب من لبنان
وأبثك الشوق المبرح في الحشا يا من علا فهماً على الأقران

حكاية:

إسمع كلامي يا أخي فإنه روض زها بالورد والريحان
إنني أتيت من الشام مرافقاً لأخيك هاشم صفوة الشبان
سله يُجبك عن الحقير ولطفه إذ كنت أحسن صاحب متفان

عتاب:

ما لي أراه وقد رماني عامداً بالصّد والإعراض والهجران
ونسي الأخوة بيننا لم يرعها أكذا يجازي فاعل الإحسان؟!

رحلة :

وأتيت من بعد الشّام بسرعة
يا حبذا تلك المدينة إنها
فيها الأوانس والحدائق جمّة
فمكثت فيها بعض أيام وقد
حتى أتيت لبلدة الشيخ الذي
شيخ تعمّم في عمامة عالم
في السير أقصد نزهة البلدان^(١)
بالحسن أضحت سلوة الإنسان
هذا ولحن الطير في الأغصان
فارقتها والقلب في خفقان
قد(طاحه) قاصي الوري والداني
لكن حقيقته من الزعران

حكاية :

بيننا أنا في السوق^(٢) أمشي حائراً
وإذا بنجل الخال أضحي راكباً
فركبت قداماً بجانب مديرها
حتى وصلنا والجموع تحشّدت
شاهدت جمعاً لم أشاهد مثله
حتى إذا انفقّ الخلائق لم أجذ
وبقيت وحدي جالساً متأدباً
حيث الغداء هناك كان مرتباً
متمايلاً كتمايل النشوان
سيارة ملئت من الشبان
نبغي الخيام لجلسة الأحزان^(٣)
ما بينها الدرزي والنصراني
أبدأ بتعزية ولا بقران
حولي سوى الحصران والجدران
وأخوك راح لدار أهل الفاني
من كل صنّف جيّد فئان

حاكم :

أما أنا فالجوع مرّق معدتي و(التّن)^(٤) أئلف مهجتي وضناني

(١) مدينة صيدا.

(٢) سوق النبطية.

(٣) مانم الحاج محمد العبد الله في الخيام.

(٤) التّن : التبع.

هذا أخوك وفعله فأحكم به يا صاحب الأنصاف والوجدان
شوق:

الله يعلم أنني متشوق لزيارة الأحباب والخلان
وأود أنني دائماً في حيتهم يا حبذا لو كان بالإمكان
مكاني:

أما الحقيير فإنني في (حارة)^(١) معمورة بتزاحم الضيفان
أنسي: مجلات الحقوق ومرشد ورواية وجريدة الأفغاني^(٢)
كتبي أطلعها وأصبح ماشياً مستأنساً لإدارة العرفان^(٣)
ذكرى:

إنني لأذكركم بكل سويعة يا من ناوا عني إلى (شقران)
ختام:

هذا ودوموا في هناء دائم ومسرة وتآلف وأماني
وإذا أردت بأن تجاوب فليكن إرساله بتوسط (العرفان)

(١) حارة صيدا، وفيها أقارب للشاعر.
(٢) صحيفة " العروة الوثقى " لجمال الدين الأفغاني.
(٣) مجلة العرفان الصيداوية لصاحبها الشيخ أحمد عارف الزين.

جواب السيد جعفر^(١)

شوق مضني:

يا شيخ جعفر آل همدٍ الذي
بعد السلام وبعد نفحك ساعةً
وأقول من فرط التشوّق والهوى
نصفي إلى الزنارفي (صرمايتي)^(٢)
لو كان عزرائيل يعلم موضعي
ولكنت في ذاالحين أرتع في السما
ولو أنّ كل الشوق مثل تشوّقي
وكأنّه لم يكف ما بي ربّنا

اشتهر اسمه بالعاملي اللبناني
أشكو إليك لواعج الأشجان
قد صرت أنحف من قضيب البان
وبداخل الطربوش نصفي الثاني
لزيرة الفردوس كان دعاني
متمتعاً بالحدور والولدان
لأتى به التحريم في القرآن
حتى ابتلاني في هوى الأخوان

حب روحاني:

قد لا تصدق ذا وتحسب أنّه
فاسأل فعندي صحة لم يحوها
وانظر إلى شغلي تجده بأنّه
كيف اتجهت وكيف سرّت فداثماً

عن قلّة أو عارضٍ جسماني
لا جسم إنسانٍ ولا حيوان
من عند عشّي إلى حلواني
ترنو إليّ لواحظ النسوان

(١) القصيدة ساقطة من نسختي: ج . أنظر الأدب الفكاهي العاملي مرجع المذكور.

(٢) الحذاء.

وَيَقْلَنَ مِنْ هَذَا وَهَلْ هُوَ أَعَزُّ؟
وترى جيوسي دائماً ملاناً
مهما طلبت تجده عندي حاضراً
لو كنت أنت وحق ربك موضعي
ولكان ساويعرضُ خصرك طوله
هل بعد هذا لا تزال مُشككاً
فاحكم ويقن أن ما بي كله

عتاب:

خبر صديقك كيف أنت فإنه
يقضي الليالي ساهراً متحرّقاً
من أجل تحرير يكلف (آنة)^(١)
وتنام لا يلهيك عن طيب الكرى
أترى يجوز بدين إبليس كذا

نهب الأسى والوجد منذ زمان
فكأنه يقلب على النيران
يا ضيعة الأصحاب والخلان
ما يعتري النائين من أحزان
أم يا ترى بديانة الرحمن

تمنيات:

فعسى تكون كما أروم وأشتهي
وتكون في أنس تروح وتغتدي
وتعود تدعى بعد إسمك وحده

من صحة في الجسم و (الجزدان)
وجميع أهل البيت في اطمئنان
بأبي فلان أو أبي فليتان

عملي:

أما أنا فلقد غدوت معلماً
الحال أحسن إنما أخشى على

بقيادتي جيش من الصبيان
عقلي من التخريب والنقصان

(١) الآنة : عملة عراقية قديمة يقابلها القرش عندنا .

وأخاف من بعد التأسد في غدٍ أن أغدو تلميذاً بمارستان
لكنني راضٍ لأن خسارتي في خدمة الأهلين والأوطان
فغداً سأتحفهم وأعلي شأنهم بالرأعي والزبّال والطحّان

ختام:

الوقت ضاق وفي ذكاك كفاية وعن الكتاب عسى يقوم لساني
ولو أنني أبديت كل خواطري لم يكفني إذ ذاك (ماعونان)^(١)

٢٩ رمضان ١٣٤٩

(١) الماعون: رزمة من الأوراق.

شكوى

شكت نفسي إليّ ظلام نفسي
تقول : قتلتني كمداً فحالي
ولم أدر لهذا اليأس سرّاً
وفي هذي الحياة لمبتغيها
غضبت على الوجود بحالتيه
فلا الرحمن تُرضيه بنجوى
ويأساً فيه أصبحها وأمسي
وحالك مثل ميت ضمن رمس
ولا لغريب شؤمك أيّ أسّ
رغائب نُوعت من كل جنس
ولم تجنح لقدسٍ أو لرجس
ولا إبليس تُرضيه بكأس

يعزّ عليّ أن ألقاك دوماً
وأنّ ربيع هذا العمر ولى
ولم أرو غليلاً في حياتي
ولي فيه أمانٍ ليس تُحصي
فكرهي العيش لا لعظيم نسك
فإني إن جهلت فلستُ أشري
ففلسفة الوجود وما حواه
حليفة غصّة وظلام يأس
وأوراق الشباب دنت لبس
ولم أنعم بجراحةٍ وحسّ
وفي آفاق فكري ألف شمس
ولا لعميق فلسفةٍ ودرس
جميع فلاسف الدنيا بفلس
برعشة مبسم وصرير ضرر

وددتُ بأن أعيش فحال بيني وبين أطايب اللذات نحسي

وُجِدْتُ كَأَنِّي تَمَثَالُ سَوْءٍ وَعِزٌّ عَلَيْهِ مَا فِيهِ التَّأْسِي
إِذَا ذُكِرَ الثَّرَاءُ نَفَضْتُ جَيْبِي وَإِنْ ذُكِرَ الْجَمَالُ خَفَضْتُ رَاسِي
وَمَا لِي مِنْ مَوَاهِبٍ تَدْرِينِي وَلَا لِي زَنْدُ عَنْتَرَةِ بَنِ عَبَسِ
فَلِنْ فَاءِ الْأَنْامِ وَرَيْقَ عَيْشٍ وَلَذَّةُ مَغْنَمٍ وَبَهِيحُ عَرَسِ
فَمَا أَنَا غَيْرُ عَوْدٍ لاحتطَابِ وَحِطِّي مَنْجَلٌ وَشَفَارُ فَاسِ

كفرصير ١٩٣٥

وحكمت بالإجماع

"تواعدنا، السيد نور الدين بدر الدين، معلم مدرسة الزرارية، وأنا، معلم مدرسة كفرصير، على أن نذهب مع تلامذتنا إلى "القاسمية" للتفرج على المشتل الزراعي هناك، على أن أمر عليه في الزرارية لنذهب معاً. ولكن حالة الطقس السيئة حالت دون وفائي بالوعد، فكتب إليّ":

لَمْ لَمْ تَفِ فِيمَا وَعَدْتَ وَتَحْضُرُ
هَلْ خَفَتْ مِنْ حَرِّ الْهَجِيرِ وَلَفَحِهِ
لَمْ هَلْ خَشِيتَ عَلَى التَّلَامِذَةِ الْعَنَا
فَارْكَبْ وَدَعِهِمْ يَرْكُضُوا بِرُكَابِهِمْ
فَقَدْ انْتَظَرْتُكَ لِلْغُرُوبِ^(٣) وَقَدْ^(٤) وَهَى
حَتَّى إِذَا هَجَمَ الظَّلَامُ رَجَعْتَ مِنْ
وَتَحِيدَ عَنْ سَنَنِ الرِّيَا يَا جَعْفَرُ
حَتَّى انْثَنَيْتَ عَنِ الْوَفَا يَا أَسْمَرُ
فَمَضَيْتَ فِي سُوءِ الْمَصِيرِ تَفَكَّرُ
و... إِنْ شَوَّبُوا^(١) أَوْ هَوَّجُوا^(٢)
جَلَدِي وَلَمْ أَبْرَحْ لِنَحْوِكَ^(٥) أَنْظُرُ
غِيظِي أَثُورَ وَمِنْ صَنِيعِي أَسْخَرُ

-
- (١) شَوَّبُوا: مَسَّهِمَ الْحَرَّ.
(٢) هَجَّرَ الْقَوْمَ: سَارُوا فِي الْهَاجِرَةِ، أَيِ وَقْتُ اشْتِدَادِ الْحَرِّ.
(٣) فِي نَسْخَةِ ج: لِلْمَسَاءِ.
(٤) فِي نَسْخَةِ ج: حَتَّى.
(٥) فِي نَسْخَةِ ج: تَجَاهَكَ.

أرثي عشاءً قمتُ في تحضيره
لو كنت تعلم بالزغاليل^(٢) التي
لأتيت في عجل وذبت تحرقاً
وكذا الرفاق^(٣) قد استعدوا للعشا
فصرفتهم وأنا أقول لربما
إن خاب ميعاد اللقاء هذا المسا
فتهياًوا لغد صباحاً باكراً
ناموا على أمل اللقاء وجميعهم
فقراؤهم طبخوا الطعام مشكلاً^(٥)
أما أنا متفائلاً^(٦) بقدومكم
حتى إذا انبثق الصباح وقد علا
وإذا الزبائن^(٧) قادمون وكلهم
أرسلت قسماً منهم للقائكم
حتى إذا انقطع الرجاء ولم يعد
رجعوا كخارٍ في يديه وقد علت
قالوا ترى ذاك المعلم كاذباً

أبناء شقرا^(١) مثله لم ينظروا
طبخت ومنها أبيضٌ ومحمرٌ
إما ترقرق في الكؤوس الأحمر
وعلى منامة جيشكم إن يحضروا
قد عاقهم سببٌ لذاك تأخروا
فستلتقون بهم غداً فتصبروا
وعلى عشاكم إن أردتم فافطروا
لجميع أنواع المأكّل هيّروا^(٤)
وبذلك اليوم السعيد تبهوروا
فقضيت ليلي من سروري أسهر
صوت المؤذن للهدوء يُعكّر
بلقا طلائع جعفرٍ مستبشر
وبقيت صحبة من تبقى أنظر^(٨)
أمل لهم بمجيئكم فتقهقروا^(٩)
أصواتهم بالاحتجاج وثرثروا
في وعده أم أنه متكبر

(١) في نسخة ج: جيشك.

(٢) مفردا زُغلول، فرخ الحمام (عامية).

(٣) في نسخة ج: تلاميذي.

(٤) هيّأوا: (عامية).

(٥) في نسخة ج: منوعاً.

(٦) في نسخة ج: متفائل

(٧) في نسخة ج: وإذا بهم يتوافدون.

(٨) في نسخة ج: ننظر

(٩) في نسخة ج: علت الغزالة في السما فتطايرت آمالهم بمجيئكم فتقهقروا.

أفلسْتَ ظالمهم إذا ما لمتهم إن كسكسوا لجنايبكم أو زبروا^(١)
هدأتهم وأنا أعزيتهم على ما ضيعوه لأجلكم وتخسروا
قلت اذهبوا وتنزهوا واستبدلوا ما فاتكم من أنسكم وتمسخوا^(٢)
ولقد هجوْتُك دون خوفٍ ساخطاً وحكمتُ بالإجماع أنك أزعُرُ

-
- (١) الكسكة في القاموس: دق الشيء دقة شديدة. والكس في كل شيء مؤخره وعند العامة: عضو المرأة التناسلي. وفي القاموس أزيارُ الرجل: تهيأ للشر. والزبر عند العامة: عضو الرجل التناسلي.
(١) في نسخة ج: قلت اذهبوا واستبدلوا ما فاتكم من نزهة وعلى طعامكم افطروا

ولكل خطاب جواب

ما كنت كذاباً ولا أنا أزعر
تأبى لي السوءات نفس عفة
لو كان يدري الناس بعض فضائلي
ولو أنني قد عشت في زمن مضى
ولكان لي فوق البسيطة منبر
ولعشت ديكاً في الحياة وبعدها
لكنما وهنا يتعتع مقولي
ما رحت أطلب من زماني بغية
إن قمت يدفعني الطموح إلى العلى
لو أن عنتر مثل حظي حظه
ولما جنى من ثغر عبلة قبله
فإذا ابتليت^(٣) بأزعر خلع الحيا

تنفي الحقيقة ما تقول وتنكر
وسريرة بيضا وقلب أظهر
لغدوت أرقى عندهم وأبخر
صلّوا عليّ مع النبيّ وكبروا
أرقى إليه وفي القيامة منبر
حور وولدان ودق ينقر
حظ الحقيق بذي الحياة معتر
إلا وراح لما أروم يؤخر
أفيتني بجراب بيضي أعثر^(١)
قسماً لما قهر الفوارس عنتر
ولما انجلى عن إلتيتها منتر^(٢)
فالدهر قبلك يا معرّص أزعر

قد كنت أرغب في لقاءك وإنما حكم القضا وصروفه لا تُفهر

(١) في نسخة ج: فبخصيتي أجل شأنك أعثر.

(٢) في نسخة ج: ولما جلاً.

(٣) في نسخة ج: بليت.

فاستُبدل الطقسُ الجميل بعكسه
مع ذاك دمتُ على المسير مصمماً
أيهاب من حرِّ الهجير وَلَفَحَه
أَمْ هل يخاف من الشמוש تغيّراً
لكنني غيّرت رأبي بعد ذا
لا سيما والطقس غير ملائم
وعرفت أنّك ذو مزاج ناعم
إن هبّت النسماتُ خِلْتُ بأنّها
أبدأ بصحّتك العزيزة تعني
حتى غدوت وفي حشاك عيادة
أتقول عني أزعرٌ ومُشفطٌ
إن كنتُ نورياً فإنّك أنور
وكذا المكارم إن جهلت ورائة
أنا أدري لم غاضبتني وهجوتني
ما كنت تعباً بالوعود ونقضها
أتروح تفحر بالعشا وتدّعي
قد كنت ترغب في عشاى وتبتغي
لا البطن نالت ما تود نواله
فإذا غضبت فما عليك ملامة
وكمومسٍ عشقت حبيباً مزبراً^(٢)
حتى إذا لم يأت راحت يومها

وتأجّجت نارٌ وهبت صرصرُ
ولو أنّه الموت الزوام الأحمرُ
مَنْ في غدٍ وُسط الجحيم سيُخسرُ
مَنْ وجهُهُ في الظل أسودٌ أغبرُ
علماً بأنك للمواعد تخفّرُ
فالعذرُ أهونُ ما يكون وأنسرُ
ضوء السراج على البياض يؤثّرُ
جاءت لقامتك الرشيقة تهصرُ^(١)
وبطيزك الدكتور دوماً ينقرُ
وبباب دبرك قد يفوت الطمبرُ
مهما جريتُ فعن لحاقك أقصرُ
أو كنت طبّالاً فأنت مُزمرُ
فأبوك قبلك ذو المائر حيدرُ
وعلام أنت مُحَرَّحٌ ومزُنطرُ
لو لم يكن لك من وراها متجرُ
كرماً وأنت كما يُقال مخورُ
في أن أذيقك بعض ما لا يُذكرُ
كلّاً ولا منك استلذُّ مؤخّرُ
فلقد قضيت سواد ليلك تسهرُ
وقفت له بالباب شوقاً تنظرُ
تهذي به من غيظها وتعكّرُ^(٣)

كفرصير ١٩٣٥

(١) في نسخة ج: تكسر.

(٢) في القاموس: الرجل المزبر أي العظيم الكاهل، وهنا يريد الرجل القوي جنسياً.

(٣) العكرة: أصل اللسان. والعامّة تقول لمن يصرخ ويولول: عكّر.

حَرْق

كيف التفت مصارعٌ ودماء
وبكلُّ قلبٍ للزمان فجيلةٌ
حُرِّقَ على حُرِّقٍ فهل من بعدها
إني وهذا الكون سفرٌ كل ما
عسَفَ إلى عسفٍ يُضاف كأنما
وتداولته فوضةٌ وحشيةٌ
يا منشداً سرَّ الحياة وبشرها
واحذر فربَّ يدٍ نعمتَ بلمسها
هذا الوجود وما به من رقةٍ
أي صاحبي ملَّ الفؤاد مقامه
ضاقت به الدنيا فودَّ لو أنه
كم رحتُ أغريه وأضبر ضارعاً
أفياخذ التضليل من أضحي له
أو تأمل الثكلى رجوعَ وحيدها
وفؤادُ غلابةٌ وشقاءٌ
وبكلُّ عينٍ صورةٌ نكراءٌ
للنفس يوماً سلوةٌ وعزاءٌ
في دفتيه محنةٌ وبلاءٌ
جاءت به عقليةٌ خرقاءٌ
وتعهدته حكمةٌ عمياءٌ
لا تخدعُك بلطفها الأسماءُ
كَمَنْتُ بها لك طعنةٌ نجلاءُ
تُغري حواسك، صخرة صماءُ
جسدٌ ينوءُ وفكرةٌ سوداءُ
يعروه من قبل الفنا فناءُ
لا الصبرُ أغناه ولا الإغراءُ
في كل جارحة هدىً وضياءُ
أو ترتجي عطفَ الذئاب الشاءُ

فم سيدي نَبِيعِ الحياة رخيصةٌ
ودع الوسواسَ بالمفاخرِ والعلی
فعسى تُزحزحُ هذه الأرزاءُ
يعلو بها في الخافقين لواءُ

أَوْ مَا كَفَى عِبَاءَ الزَّمَانِ وَجُورَهُ
فَمَنْ نَجْتَلِي اللَّذَاتِ يُذَكِّي عَوْدَهَا
تَغْنَى بِهَا مَنَا حَرَائِرُ أَنْفُسٍ
لَا تَخْشَى مِنْ حَرْجٍ عَلَيْكَ فَإِنَّمَا
فَإِذَا الْفُؤَادَ بِهَا أَصَابَ عِزَاءَهُ
لَتَقُومَ فِينَا لِلْمَنَى أَغْبَاءُ
كَأْسُ مُشَعٍّ وَوَجَنَةٌ حَمْرَاءُ
أَوْ تَنْجَلِي عَنْ يَوْمِنَا الْأَقْدَاءُ
هِيَ لِلْجِرَاحِ مَرَاهِمٌ وَشِفَاءُ
فَلَهَا الْمَفَاخِرُ وَالْحَيَاةُ فِدَاءُ

كفر صير كانون الأول ١٩٣٥

راهب في دير^(١)

حياتي كلها شوم بشوم
استعصت عن الجمال بقبح وجه
وباليأس المميت عن الأمان
إذا طلع النهار يطير قلبي
فليس بخادعي لألاء فجر
وحظي حظ خفاش وبوم
وبالتنعاب عن صوت رخيم
وعن طيب البشاشة بالوجوم
ويسكن في حمى الليل البهيم^(٢)
إذا ما لاح عن جرح أليم

تصفّخ إن في وجهي كتاباً
فإن الله لمّا أن براني
فكان كما أراد وكنّت عدلاً
فمن حمم ومن لهب كياني
وفي نفسي من الأهواء سيل
وفيها للغواية كل شوق
تهيم بكل كأس حرّموها
وتكره كل ما ظنّوه رشداً
تنبأ فيه عمّا في صميمي
تصوّر شكل شيطان رجيم
بما آتاه من صنع أثير
وروحى بعض أنفاس الجحيم
يُحيل العالمين إلى هشيم
كشوق المؤمنين إلى النعيم
ولو ملئت شراباً من حميم
وما نعتوه بالنهج القويم

(١) العنوان في نسخة ج: وما طبعي الدّامة.

(٢) من قول الشاعر القديم: وخذ الأنوار عني ربما أجد الرحمة في جوف اللبالي

وما طبعني الذمامة غير أنني
فكيف يطيب لي دهر سقيم
وكيف تُقَرُّ بالأحرار أرضي
فلا أمل ينجيه فؤادي
كأنني راهب في وسط دير
بعيش لكي يموت حبس نفس
بليت بكل مكروه ذميم
أمرغ منه في عيش سقيم
تعمج بكل ذي رأي عقيم
ولا نعلم أفسسها نديمي
فليس يرى به غير النجوم
من الشهوات كالطفل الفطيم

كفرصير أول شباط ١٩٣٦

رأي في عهد

"أرسل الصديق السيد نور الدين بدر الدين هذه الأبيات بمناسبة نقلي من مدرسة النبطية إلى مدرسة الدوير في تشرين الأول ١٩٤٤".

أخي إن رمت في ذا العهد رأياً فخذ مني ولا تسمع لغيري
إذا قال امرؤ أبيات شعر وصار يُعد أشعر من بريري
وغالط من يرى بخراه دوداً بمعرفة الجراثيم "النويري"
وإن ركب البراق لنيل قصد وفاز من امتطى جحش العزيز^(١)
وأبصرت الهوى يدني (كريماً)^(٢) ويسكن جعفرأ أرض الدوير
فطايـز للحياة وبُل عليها ولا تحفل بشر أو بخير
وقل عهد إذا ما مت فيه لبيضاتي وإن أحيال ...

(١) العزيز: هو ولقمان وذو القرنين ورد ذكرهم في القرآن والثلاثة مختلف في كونهم من الأنبياء. ولعل عزيز هو عزرا (سفر) من أسفار العهد القديم كتب بعد الجلاء القرن الخامس قبل الميلادي .

أنظر: المنجد في اللغة والأعلام المكتبة الشرقية.

(٢) المقصود به كريم السمرا الذي حل محل السيد جعفر في مدرسة النبطية.

سأنزل عند رأيك...

جواب السيد جعفر

سأنزل عند رأيك يا عزيزي
وأطلب للمريدين انتقالي
لئن هزلت وساء مُقامُ شهم
وقام الفحل مخدوعاً بشكلٍ
وأشكلت الأمور وضاع عُرفُ
أفضل أن يقال لي الدويري
وإن ركبت ملوك الأرض طراً
فخير من سروجهم جميعاً
وأشرف من منازل شامخاتٍ

وأسكن راضياً أرض الدويرِ
وللساعين فيه كلَّ خيرٍ
فصار الزبر يدعى ابن الزبير^(١)
يزاحم في الغرام طويلٌ...
فلا يُدرى قبيل من دُبيرٍ
وأكره أن يُقال لي الشويري
يكون هواي في ركب النميري^(٢)
حياصة جحش مولانا العزيزِ
كهوفُ الوحش في وادي الحجيرِ

(١) عبد الله بن الزبير.

(٢) هو الشاعر الأموي محمد بن عبد الله النميري، أحبَّ زينب أخت الحجاج بن يوسف ونظم فيها قصيدة مطلعها:

تضوَّع مسكاً بطن نعمان إذ مشيت به زينب في نسوة خطرات
وقد سأله عبد الملك بن مروان : وما كان ركبك يا نميري؟
قال: أربعة أحمرّة لي كنت أجلب عليها القطران وثلاثة أحمرّة صحبتني تحمل البعر.
ضحك عبد الملك وقال: لقد عظمت ركبك.
أنظر: الأغاني، طبعة دار الفكر ج ٦ - صفحة ٢٤.

فقد سئمت من التضليل نفسي
وصرت أود أن أحيأ صريحاً
فأخمد ريتنا إذ فك أسري
أنقر كيف شئت وفي سمائي
ولا هم لدي أبيت فيه
وفي تيه الخداع أطلت سيري
ورأيي سالم من كل ضمير
فصرت كأنني أ... بدير
أعيش محلّقاً بجناح طير
وأ... قد غدا في طيز غيري

الدوير - تشرين الأول ١٩٤٤

عهد جديد وعيش رغيد

"تهنئة الصديق السيد نور الدين بدر الدين بزواجه أواخر الحرب العالمية الثانية".

في حواشي الآفاق خفق بنود
إحبس القلب روعة وجلالاً
تترأى على المشارف نار
تزحم الأفق عِدَّةً وعديداً
إنّ هذي جحافلُ الحق تمشي
تتخطى الأبعاد نجداً فتجداً
كالأعاصير فوق متن خضمّ
ليت عين الذين بالأمس كانوا
تُبصر اليوم بعد طول انتظار
ويناوي المجال رجْعُ نشيدٍ
وأدبُ ناظريك عبر الحدود
وجنودُ تنساب إثر جنودٍ
فكأنّ الآفاق جَدْرُ حديدٍ
نحو أهدافها بعزمٍ وطيدٍ^(١)
وتلفّ الصعيد تلو الصعيد
وكطاغي اللهب فوق حصيدٍ
طعمة الظلم والأسار الشديد
وثبة الحق من وراء اللحود

أيها الشاعر الذي كنتَ دوماً
بينما نحن في سُباتٍ عميقٍ
نقبل الهونَ من دعي ووغدٍ
إنّ ما كان في ضميرك حلماً
رافعاً بيننا لوا التجديدِ
ومَجاري تفكيرنا في جمودٍ
ونُحابي إسفافٍ كلّ بليدٍ
أصبحَ اليومَ مُشرقاً للوجودِ

(١) إشارة إلى الجيش الأحمر السوفييتي عندما كان يدق أبواب برلين عاصمة النازية.

وانطوت صفحة العهود السود
فصروح الطغيان تهوي سراعاً
وغداً يصبح الحبس طليقاً
وتكون الأفعال مقياس فضل
وانجلي الليل عن صباح مجيد
وجموع اللثام في تبديد
بعد ما كان مُثَقلاً بالقيود
والكفاءات موضع التمجيد

* * * * *

أيها الشاعر أنعم الآن نفساً
وأقم للجديد بيتاً جديداً
فيه بعد الكفاح سلوان هم
وتهادي بظل عيش رغيد
عابقاً جوّه بعزف الورود
بين زوج محبوبة ووليد

تلال من قشور

"أرسلت هذه القصيدة إلى الأستاذ الشيخ علي الزين وهو في المستشفى في ١١ كانون الأول ١٩٤٤".

يعزُّ عليَّ لبثك في السرير
بعيد الدَّار عن وطن وأهل
فلا "جبشيتُ" تُبصرها بعين
ولا شيخُ تجادله بغسل
وبالخرطاط^(٢) هل تكفي إذا لم
فيرفع صوته يبدي اعتراضاً
ويغلي من فؤادكما حماس
ويشتد النقاش فكل حبر
فخوفاً منك من سوء المصير
بُزاح بها عن العورات ستر

طريح السقم والألم المرير
وعن صحب بهم جَلُو الصدور
ولا شايُّ تعاليه بقوري^(١)
وبالحدث الصغير أو الكبير
تعزِّز بالضُّراط أو الزحير^(٣)
وتأخذ بالصياح وبالهدير
كما تغلي مياه في القدور
يريد الفوز بالنصر الأخير
ومعركة تدور على الحصار
كعورة بعضهم يوم الهرير^(٤)

(١) إبريق الشاي.

(٢) انخرط بطن الإنسان: أصابه الإسهال.

(٣) لزحير : استطلاق البطن، تقابله لفظة ديستاريا.

(٤) يوم الهرير: إشارة إلى معركة صفين والمواجهة بين الإمام علي بن أبي طالب وعمرو بن العاص الذي ما أن أحس بدنو مصرعه حتى كشف عن عورته مما دعا الإمام إلى الإشاحة بنظره تعففاً ونجا عمرو من الموت المحتم. والهرير: من هرَّ الكلب إذا همهم ولم ينبح.

لتبعد عن حديثكما اتجاهاً
 ولم يك بعد ذا شأنٍ خطيرٍ
 قضى أوقاته نظاً كدوري
 بصيد المرد أو ... الحمير
 مُنمقة بتمسيح ...
 بكبر عمامة وكلام زور
 وقد بَدَل التجهّم بالحبور
 يُجيز الخلط في كلّ الأمور
 لتحليل الفرزدق أو جرير
 وتبعثُ مُلحداً طيّ القبور
 ستصلحه مقامات الحريري
 ستنفعنّا تلالاً من قشور
 تعطره مجامرٌ من بُخور
 وصار يُدير أمرَ القوم نوري^(١)

تغير من حديثكما اتجاهاً
 تذكر شيخنا عهداً تقضى
 وكان بطالب يدعى ولكن
 وكيف شُغلتما عن نيل علم
 وكم أتلفتما أوراق كتب
 فكيف يُريد خدعك بعد هذا
 فتسكن حدةً منه ويُمسي
 وتضحك وهو يضحك من زمانٍ
 ولا أدباء حولك ترتجيهم
 فتنسى ميّت الأحياء منّا
 فهل إن ساء منّا الحال يوماً
 وهل إن فاتنا في العيش لبّ
 وما يُجدي بربك عرشُ شعر
 إذا ما ساء حكم في بلادٍ

روته الصحف في العدد الأخير
 وكيف الملك^(٣) يعبت بالوزير
 ولم يسجد لأصنام القُصور
 ولم يحفل بذى شنب كبير
 ويُتهم بالتكبر والغرور

ولا من ساسة للبحث عما
 عن النحاس^(٢) كيف أقبل قسراً
 إذا ضلّ الطريق ولم يحابي
 ولم يلثم لربّ العرش كفاً
 فيُشبع ذلك المسكين لوماً

(١) نوري السعيد حاكم العراق.
 (٢) النحاس باشا رئيس وزراء مصر.
 (٣) الملك فاروق.

وَيُلْعَن عَهْدُهُ إِذْ كَانَ عَهْدًا
كَأَنَّا قَدْ نَسِينَا حِينَ كُنَّا
وَحَقَّقْنَا اتِّحَادَ الْعَرَبِ طَرًّا
وَلَمْ يَبْقَ لِإِكْمَالِ الْأَمَانِي
مَلِيئًا بِالْمَخَازِي وَالشَّرُورِ
نَرَى فِيهِ الرِّجَاءَ لِمُسْتَجِيرِ
فَحُلَّ الْأَنْسُ فِي كُلِّ الصَّدُورِ
سَوَى وَضَعِ الْمَلِكِ عَلَى السَّرِيرِ

سَأَطْلُبُ مِنْ إِلَهِ الْعَرْشِ دَوْمًا
بِأَنْ يُعْطِيكَ مَا تَصْبُو إِلَيْهِ
عَسَاكَ تَعُودُ فِي وَقْتٍ قَرِيبٍ
فَتَفْلُقْنِي^(١) بِذِكْرِ سَخِيفِ قَوْمِ
وَأَدْعُو بِالْعَشِيِّ وَبِالْبُكُورِ
وَيُسْرِعُ بِالشِّفَاءِ وَبِالسَّرُورِ
وَتُرْجِعُ سَالِفَ الْعَهْدِ النُّضِيرِ
وَأَفْنِي بِالْعِشَاءِ أَوْ الْفُطُورِ

(١) فُلَّقَ: أَوْضَحَ وَأَبَانَ الْحَقَّ بَعْدَ إِشْكَالٍ (الْقَامُوسُ): يَرِيدُ التَّعْبِيرَ عَنْ ضَيْقِ الصَّدْرِ.

لا دنيا ولا آخرة

لا تَأْمَلَنَّ بِتَبْدِيلٍ وَتَغْيِيرٍ
وَكَيْفَ تَأْمَلُ فِي إِنْهَاضٍ مَنْ خُلِقُوا
عُدُّوا مَعَ النَّاسِ نَاساً إِنَّما لَهُم
مُخَبَّلُونَ^(١) فلا شيء يحركهم
وما يُدْغِغُ هذا الكون من أمل
تُحيي الوجود بفيض من مراحمها
فِيُغْمِضُونَ عَلَى الْأَقْدَاءِ أَعْيُنَهُمْ
وَيَهْرَبُونَ إِذَا مَا أَبْصَرُوا قِبْساً
وَيَفْزَعُونَ إِلَى الْمَاضِي وَظَلَمَتِهِ
كَيْما يُزْحِزُّ عَنْهُمْ مِنْ نَذَالَتِهِمْ
وما يُكَلِّفُ مِنْ بَذْلِ وَتَضْحِيَةٍ
وَكَمْ يَعِزُّ عَلَيْهِمْ أَنْ يَجْرِدَهُمْ
قَدْ أَلْبَسُوهَا صِغَاراً مِنْذَ نَشَأَتِهِمْ
وَمَنْ تَكُونُ عَلَى الْأَقْدَارِ عَيْشَتُهُ
دَعَهُمْ وَشَأْنَهُمْ لَا تَرْجُ مُنْقَلَباً
وَمَنْ تَجَرَّدَ مِنْ وَعْيٍ وَعَاطِفَةٍ

فلنْ تَبْدَلْ فِي مَجْرَى الْمَقَادِيرِ
مُجَوِّفِينَ خَلَّوْا مِنْ كُلِّ تَفْكِيرِ
(جَسَمِ الْبَغَالِ وَأَحْلَامِ الْعَصَافِيرِ)
مِنْ عَاطِفَاتٍ وَمِنْ حَسٍّ وَتَقْدِيرِ
وَمَنْ تَرَقَّبَ آفَاقِ مَنْ النُّورِ
وَتُظْهِرُ الْكَوْنَ فِي أَحْلَى التَّصَاوِيرِ
وَيَرْضَخُونَ لِحَمْلِ الْقَيْدِ وَالنَّيْرِ
كَأَنَّهُمْ بَعْضُ جَرْدَانِ الْمَجَارِيرِ
وَيُؤْمِنُونَ بِمَكْذُوبِ الْأَسَاطِيرِ
خِيَالٍ مُسْتَقْبَلِ جَمِّ الْمُحَازِيرِ
وما يُحْمَلُ مِنْ جِدٍّ وَتَشْمِيرِ^(٢)
أَثْوَابِ لَوْمٍ وَبِهْتَانٍ وَتَزْوِيرِ
فَأَصْبَحَتْ تَتَحَدَّى كُلَّ تَأْثِيرِ
فلنْ يَطِيبَ لَهُ عَرَفُ الْأَزَاهِيرِ
فلنْ تُوفَّقَ فِي هَدْيٍ وَتَبْشِيرِ
لَنْ يَسْتَجِيبَ لَتَنْبِيهِ وَتَحْذِيرِ

(١) المخبَّل: المجنون من لا فؤاد له.

(٢) التشمير: النهي والاستعداد للأمر.

أياملون ببعث بعد موتهم
لا أحسنوا عملاً كالمحسنين ولا
ولا تحلّوا بفضلٍ أو بمكرمةٍ
لينعموا في غدٍ من فضل ربهم
كلّا ولا ظلّموا ظلماً يكلّفهم
ولاً أصابوا من اللذات آثمها
كانوا ثعالي^(٢) فضالات الأسود لهم
خرسٌ مع الغير نبّاحون بينهم
وهل يُعدّ سلاحاً يستطال به
فليطمئنوا فلن يحظوا بمرتبةٍ
فالله يعلم ما تُخفي سرائرهم
ولن يكون غداً في دار نعمته
سيصطفي كل كُفٍ كي يجاوره
لذا الجنان فحتماً سوف تلفظهم
وسوف يبقون في أجدانهم^(٥) رمماً

وفي حياتهم عاشوا كمقبور
قلوبهم أوجعتها حال موتور
ولم يكن سغيهم يوماً بمشكور
بالطيبات وبالولدان والحوار
عقاب من أمعنوا في الظلم والجور
ولاً استباحوا جهاراً أي محظور^(١)
يحلّو لهم نبشها بين الأحافير
ساحات مجدهم حول التنانير^(٣)
ناب الكلاب وأظفار السنانير^(٤)
مهما أطالوا بتهليل وتكبير
وليس يخذعه كذب الأسارير
ودار نقمته حظ لمغمور
من الميامين من برّ وشرير
وفي جهنم لن يحظوا بتنور
ولا يقومون يوم النفخ في الصور^(٦)

النبطية ١٩٤٥

-
- (١) المحظور: الممنوع.
(٢) ثعالي: ثعالب.
(٣) التنانير: مفردها تنور، تجويفة أسطوانية من فخار تُجعل في الأرض ويخبز فيها، الكلمة سريانية، أنظر المنجد في اللغة والأعلام.
(٤) السنانير: مفردها السنور أي الهر.
(٥) الأجدات: القبور.
(٦) يوم النفخ في الصور: يوم النشور، يوم البعث.

رثاء معزاة^(١)

في دفتر جيب صغير الحجم^(٢) قدم السيد نور الدين بدر الدين لهذه القصيدة بقوله: "بعد أن اعتنق السيد جعفر الأمين مذهب الشيوعية، أخذ يميل إلى تربية الغنم والمعيز، وصادف أن جربت عنزة وماتت على إثر ولادتها. فرثيتها بهذه القصيدة على سبيل التفكهة الأدبية".

وفي مخطوطتي كتب السيد جعفر يقول: "ماتت لي معزاة، فأرسل الشاعر الأستاذ نور الدين بدر الدين هذه القصيدة رثاء لها في ٩ شباط ١٩٤٥".

حارت بعينك دمة خرساء	مذ فارقتك العنزة الجرباء
أدمى فؤادك فقدّها لوليدها	وذهابها في إثره نفساء
ماتت أمانيك العذاب لموتها ^(٣)	ودهتك داهية بها دهماء
ومصيبة نزلت فهذمت القوى	وعراك من تأثيرها برداء ^(٤)
فلکم تخيلت المعيز نواسلاً	ولها إذا حلّ المساء ثغاء
ولکم حلمت إذا اعتنيت بنسلها ^(٥)	يأتیک منها مرکز وثرأ

(١) في مخطوطة ج، العنوان: العنزة الجرباء.

(٢) وقفت عليه عند نجل الشاعر نور الدين بدر الدين.

(٣) في مخطوطة ج: بموتها.

(٤) في مخطوطة ج: البرداء معرفة.

(٥) في مخطوطة ج: إذا اعتنيت بها وأن...

لبن وشعر ما تعيش وزيلها
 وإذا ذبحناها فلحم طيب
 إني لأعجب كيف تطمع بالغنى
 لكن ربك^(٣) لم يشأ لك ثروة
 أهدي لها جرباً فأسقط شعرها
 وتقيحت وسرت روائح ننتها
 ما زال يُنحلُّها إلى أن أصبحت
 حتى إذا ماتت وخلت بعدها
 عزَّ المصاب بها وعذرك واضح
 أو أظلمت كمدأ بعينيك الدنى
 موت لمن ترجو له طول البقا
 يا ليتها بقيت بقربك حيّة
 لكن إذا شاء الإله فأمره
 فلها لأجلك كل قلب مَذْفُونُ
 ليت السما ما أنزلت مطراً ولم

يُنمي النبات وزُبدَةٌ ولِبَاءُ
 وإذا شربت^(١) فكبدة سوداء
 أمر به يستشكل الرفقاء^(٢)
 من دونهم وجميعهم فقراء
 وزهت عليها بعده الحرباء
 فكانما فسدت به الأجواء
 تمشي وفيها للكلاب رجاء
 قلباً يذوب لموتها ويساء
 إن كان لا يحلو لديك عزاء
 وتساوت^(٤) الأصباح والأمساء
 ولمن تود له الفناء بقاء
 ومضت فداها العنزة الشمطاء^(٥)
 لا بد أن يقضيه كيف يشاء
 ولها القوافي الشاردات رثاء
 تُنبِت حشيشاً بعدها الغبراء

(١) في مخطوطة ج: انتشيت.

(٢) الرفاق الشيوعيون.

(٣) في مخطوطة ج: ماركس بدلاً من ربك.

(٤) في مخطوطة ج: وتشابه.

(٥) يقصد زوجة السيد جعفر الأولى وكانت كبيرة السن.

لا فُضَّ فوك

جواب قصيدة الأستاذ نور الدين بدر الدين في رثاء المعزاة.
أزرى بحالي شيمة سمحاء
وتعشَّق طاغ لكل مُحَبِّبٍ
نِعِمْتُ بتحنائي وصدقِ مودَّتي
وتقاسمتُ قلبي وما ملكتُ يدي
يا ويح قلبي كم يُكلفني عناً
الأشقياء حملتُ ثقلَ همومهم
وغفَلْتُ عن نفسي وعن حاجاتها
حتى غدوتُ بكل نادٍ مضغة
وعزوا إليَّ بلادةً وتصوِّروا
فأنا صريع فضائلي وشمائلي
خُلِقْ نشأتُ عليه منذ حدثتي
خُلِقْ مع اللبن الطهور رضعته
ما شوَّهته على الزمان حضارةً
كل^(١) المصائب قد تزول وتنجلي
إلا التجسَّس فهو داء مزمنٌ
وتعفَّفْ وتَجَمَّلْ وإبَاء
حملته أرضٌ أو حوته سما
الناسُ والحيوانُ والأشياءُ
فبكل أفقٍ منهما أجزاء
ولَكم أضامٌ بحكمه وأساء
وحرصتُ أن يهنا بي السعداءُ
وكبتُ ما تُوحى به الأهواءُ
وبحادثي يتسامر الجلساءُ
خَفُضَ الجناح كأنه استخذاءُ
حَظُّ به يتفرد الشرفاءُ
لم تمحُ السَّراءُ والضراءُ
وقد اصطفتَه بطهرها الصحراءُ
أو أفسدته شريعة خرقاءُ
ولشرِّ داءٍ في الحياة دواءُ
هيهات منه أن يكون شفاءُ

* * * * *

(١) في مخطوطة ج: إن المصائب.

يا زهرة العمر التي ضيّعتهَا
مرّ الربيع بها فآلَفَى عودَهَا
ذهبت ضحيةً لؤم أشقى شارع
وجنى عليها في الوري إيثارَهَا
وتَلَمَّست سنداَ تلوذ بظِلُّه
عجباً أأتهم بعد ذلك بالمني
فمتى وكيف أنال ما قد فاتني

عظم المصاب بها وحلّ عزاء
يَبْسُأ فلا ماء ولا خضرَاء
وخبِيث إرث خلّف القدماء
فقضى عليها الجهل والإعياء
فلذا مهاوٍ حولها وعراء
وبأنّ عندي لا يزال رجاء
والدهر يلعب فيّ كيف يشاء

'موت لمن أزجو له طول البقا
وإذا تصفّحتُ الحياة فلا أرى
أفَلَسْتُ تُخطئ إذ تظن بأنني
ويعودُ يبسم بعد طول تجهّم
وتزولُ من قلبي حَمَاقَةُ رحمةٍ
وأريح نفسي من عناء صراحةٍ
وأساير الأيام حسب ظروفها
وأبيع بالدينار كلّ مقدّس
وتُغيّر الأيام مني منظراً
وتزيّنه من بعد لأي بذلةٍ
وأعودُ أبني بعدَ طول تشرّدٍ
وأروح أبدلُ كل يوم زوجةً
وأنال بين الناس كلّ مهابةٍ
لا تخطئن فقد تقلّصت المنى

ولمن أودُّ له الفناء بقاءً
إلا شقاءً يقتفيه شقاءً
ما زلتُ أرجو أن يحلّ هناءً
ثغري ويعلوه سناً وضياءً
ويحلّ فيه الحَقْدُ والإيذاء
فأقول ما يستحسن السُّفهاءُ^(١)
فلكلّ يوم جُبّةٌ ورداءُ
إن كان فيه مُثَعّةٌ ورخاءُ
فلذا بجسمي شمعة بيضاء
وتُنير جيبِي ليرة صفراءُ
بيتاً يَغَاطُ لحسنه الأمراءُ
يحلّو بها الإصباح والإمساءُ
فيقوم لي ويجلني الوجهاءُ
واحتلّ قلبي ظلمة سوداءُ

(١) في مخطوطة ج: اللّؤماء.

وعلمت أن السعي ليس بنافعي
جهدٌ بلا أجر وسوء طوية
فلذاك طَلَقْتُ الأَنَامَ وعيَشَهم
وحصرت بالحيوان كل محبَّتي
ودجاجة معطاء أسقط ريشها
وَالَّذِ نُنطق صَار عِندي حينما
فإذا رثيت لحالها ورجمتُها
تُجزِي الجميل بمثله ولكم بدا
وعلى تواضع ما تجود به فلا

وبأنَّ حظِّي والدواب سواءُ
بهما مُنيْتُ وخِسَّةٌ وجفاءُ
وبعدتُ عَمَّنْ خَلَفْتُ حواءُ
فحلت بعيني العنزة الجرباءُ
من ضعفها وبُسينة برشاءُ
تعوي بقربي الكلبة العرجاءُ
ولها بذلتُ فلن يضيعَ سخاءُ
منها لحاضنها رضى وثناءُ
يسمو إليه في الحياة ثراءُ

* * * * *

يا راثي المعزة أرضيت الحجي
لا فضُّ فوقك فتلك أولُ مرَّةٍ
وُرى على وجه البسيطة ناطقُ
يقفُ القريضُ على اجتلاء حقيقة
لو أنَّ أهلَ الشعر مثلك أنصفوا
وَلَمَّا رُئي من آلِ آدَمَ ميِّتُ
فأحقُّ منهم بالمرائي والبُكا

فيما رثيت وأغضب السّفهاءُ
يَسْمو بها الأدباءُ والشعراءُ
لم تخلُ منه كرامةٌ وحِياءُ
لا المالُ يُغريه ولا الأسماءُ
لأزِيل مدحٌ واستُزِيد هجاءُ
وَلَمَّا أُقيمَ لمدّعين عزاءُ
رغمَ الأنوف بهيمةٌ خرساءُ

المكروبات المزمنة

وعاد الأستاذ نور الدين بدر الدين فأجاب على الجواب في
١٩٤٥/٤/١٥.

نعم الجواب قصيدة غراء
أودعتها نَفَثَات قلب شاعر
وبرزت فيها طاهراً مُتَنَسِّكاً
متبرماً مثلي بأخلاق الوري
كَبْرُ و غطرسة على مَنْ دونهم
وعيوبهم رغم الأنوف فضائل
والكذب والتضليل حسن كياسة
سيان إماً أشبعوا شهواتهم
متألماً ترجو الصلاح لموطن
فتكت به أعراض داء مزمين
فسرى الفساد بجسمه وتضاربت
دنيا الفضيلة والتورع والتقى
عاثوا كما شاءت لهم أهواؤهم
يأتون باسم الدين كل رذيلة
نَعِمَتْ ملامسهم وتحت ثيابهم
لا خير فيهم للبلاد وأهلها

هي من فؤادك قطعة بيضاء
ويدت بها أخلاقك السماء
وعليك من أثر الهدى سيماء
لا تزدهيك مظاهر جوفاء
والى القوي تزلف ورياء
فالغدر بأس والجحود وفاء
وخضوعهم للأجنبي دهاء
أيباح عرض أم تُراق دماء
حلّت به النكبات والأرزاء
مكرويه العلماء والزعماء
بصلاحه النزعات والأهواء
عَبَثَتْ بها ساداتها العلماء
وبغوا وقالوا إننا صلحاء
والدين ممّا يفعلون براء
في كل عضو حبة رقطاء
فكأنهم موتى وهم أحياء

ومصالح الشعب الخنوع رمت بها
 وإذا استجار بهم ليحمي حقّه
 فكأنما دستورهم يقضي بأنّ
 لم يلفتوا نظراً لغير جيوبهم
 غرسوا احتقارهم لنا بنفوسهم
 فلقد ملّنا العيش أمرّ دائمٍ
 فإلى متى نحيا حياة تشرّد
 لورائها عن قصد الرؤساء
 لووا رؤوسهم وضاع نداء
 لا يُستجاب إلى الضعيف دعاء
 فإذا حشوها فالأنام هباء
 فميت لهم بنفوسنا البغضاء
 منهم ومنا الطاعة العمياء
 وكأننا في أرضنا غرباء

* * * * *

إن ينطقوا فلنا لسان أبكم
 لا يُرتجى الإصلاح بعد مماتهم
 ما قوم المعوج من أخلاقنا
 ومناجل تفري اللحى ومطارق
 الحق يبزغ من خلال خيوطها
 وهناك نحيا في نعيم ظلالها
 أو يعملوا فلنا يد شلاء
 فعلى خطاهم يقتفي الأبناء
 بالفعل إلاّ الراية الحمراء^(١)
 لرئيسها برؤوسهم أصداء
 وبهديها تُستصلح الأخطاء
 عيشاً يُجمّله هنا وصفاء

(١) العلم الأحمر وشعار المطرقة والمنجل.

إلى مثقّف

"عاد الشيخ علي الزين من المستشفى إلى بلده (جبشيت) فأرسلت إليه هذه القصيدة معتذراً على التباطؤ في زيارته وذلك في ١٢/٥/١٩٤٥".

تهاني المخلصين من الصحاب	أقْدَمُهَا بميمون الإياب
أقْدَمُهَا إليك ولا أراها	سُتْذِهُبُ ما بنفسك من عتاب
على مَنْ كُنْتَ تحسبُهم كراماً	وكنْتَ تُجلُّهم عن كلِّ عاب
وكنْتَ تظنّ إمّا ساء حالٌ	وراح البومٌ ينعُبُ بالخراب
لعهد الود لن ينسوا حقوقاً	ولنْ تُلهيهم مُتَعُ الشباب
فهم للقلب في البلوى عزاءٌ	وهم سلواك في يوم اكتئاب

* * * * *

نَعَمْ قد كنتَ تأملُ أنْ يقوموا	بما تُملي الصداقةُ من طلاب
وما تُوحيه أمجادُ عظام	ظفرتَ بها بتأليف "الكتاب" (١)
رفعتَ به لمجد العرب صرحاً	تعالى فوق طيّات السحاب
واخزي للفرنّج عريضَ إسم	وهذّم ما بنوه من قباب
فصار ذليلنا يختال تيهاً	ويمشي مشية الأسد المهاب

(١) الكتاب: مؤلف للشيخ علي الزين.

وَيُبْصِرُ نَفْسَهُ كَالثَّوْرِ كَبْرًا
 وَلَا هُمْ لَدَيْهِ يَبِيتُ فِيهِ
 فَكُلْ هَوَاهُ فِي تَحْرِيكِ نَابٍ
 وَرَاحَتِ عَرْسِهِ تَقْفُوا خَطَاهُ
 تَقْضِي وَقْتَهَا فِي نَتْفِ شَعْرٍ
 وَإِنْ ضَجَرَتْ وَضَاقَ بِهَا خَبَاهَا
 فَلَا عَجَبٌ إِذْنُ مَنْ بَعْدَ هَذَا
 وَتَرْغَبُ بَعْدَ أَنْ أُسْدِيَتْ فَضْلًا
 بِأَنْ يَحْبُوكَ قَوْمُكَ كُلَّ شَكْرٍ
 كَمَا وَقَدْتَ خِيَارَ النَّاسِ سَعِيًّا
 فَيَمْتَطِي النَّعَالَ الْبَعْضُ مِنْهُمْ
 لِيَكْتَحِلُوا بِرُؤْيَا عَبْقَرِيٍّ

وَيَعْتَبِرُ الْخَلَائِقَ كَالذَّبَابِ
 وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِ مِنْ عَذَابِ
 وَفِي وَضْعِ الْمَهْنَدِ فِي الْقِرَابِ (١)
 فَلَا يَحْلُو لَهَا غَيْرُ "الضْرَابِ" (٢)
 وَبِالتَّفْتِيْشِ عَنْ غَالِي الثِّيَابِ
 فَبِالتَّجَوُّالِ مِنْ بَابٍ لِبَابٍ
 إِذَا مَا رَحَتْ تَطْمَعُ بِالشَّوَابِ
 وَنُعْمَى طَوَّقَتْ كُلَّ الرُّقَابِ
 وَأَنْ يَفْدُوا عَلَى عَالِي الْجَنَابِ
 وَرَاءَ الْحِجِّ تَهْزَأُ بِالصَّعَابِ
 وَيَعْلُو بَعْضُهُمْ ظَهَرَ الدَّوَابِ
 وَيَغْتَرَفُوا مِنَ الْبَحْرِ الْعُجَابِ

أَبَيْتَ اللَّعْنَ مَهْلًا بِالتَّجَافِي
 وَلَا تَدْعُ اللِّسَانَ يَثُورُ غِيظًا
 وَتَهْتِكُ حَرَمَةَ الْأَجْدَادِ مَنَّا
 فَمَا كَانَ الْقُصُورُ وَلَيْدَ سَوْءٍ
 وَلَكِنَّ الزَّمَانَ قَسَا عَلَيْنَا
 فَمَا نَلْقَى صَدِيقًا نَصِطْفِيهِ
 وَهَلْ فِي الْأَرْضِ أَشْقَى مِنْ كَرِيمٍ
 رَمَاهُ الدَّهْرُ فِي أَوْطَانٍ سَوْءٍ

وَلَا تَقْسُو عَلَيْنَا بِالْحَسَابِ
 وَتَأْخُذْ بِالشَّتِيمَةِ وَالسَّبَابِ
 وَتَنْثُرْ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ تَرَابٍ
 وَمَا كُنَّا بِفَضْلِكَ فِي ارْتِيَابِ
 وَجَرَّعْنَا الْمَصَابَ عَلَى الْمَصَابِ
 وَلَا نَحْظِي بِعَيْشٍ مُسْتَطَابِ
 يَعِيشُ فَلَا يُدَاجِي أَوْ يَحَابِي
 وَأَسْلَمَهُ إِلَى قَوْمِ ذُنَابِ

(١) ممارسة الفعل الجنسي.
 (٢) الجماع أو المضاجعة.

هَمُّ مَا بَيْنَ خَدَّاعِ دُنْيِي وَهَمُّ مَا بَيْنَ نَهَابِ مَرَابِي
 فَهَذَا أَيْقَظُ الْوَجْدَانَ مَنَا وَصَيَّرْنَا الطَّلِيعَةَ لَانْقِلَابِ
 يَسَدَ عَلَى اللَّثَامِ طَرِيقَ غَشٍّ وَيُرْجِعُهُمْ إِلَى الدَّرَبِ الصَّوَابِ
 وَلَمْ نَبْقَ كَمَا كُنَّا سَوَامًا فَتُلْهِينَا الْقَشُورُ عَنِ اللَّبَابِ
 نَقْضِي الْعَمَرَ فِي إِعْرَابِ بَيْتِ وَنَتْرُكُ بَيْتَنَا رَهْنَ الْخَرَابِ
 وَنَقْرَأُ عَنْ لَحُومِ الْخُلْدِ آيَا وَنَحْنُ يَشُوقُنَا لَحْمُ الْكَلَابِ
 نَعْمَ لَمْ يَبْقَ يَخْدَعُنَا كَلَامٌ إِذَا لَمْ يَأْتِ بِالْعَجَبِ الْعَجَابِ

* * * * *

لِذَلِكَ رَحْمَةً بِكَ قَدْ كَرِهْنَا بِأَنْ نَأْتِيكَ فِي جَوْ اضْطِرَابِ
 فَلَا نَلْقَى مِنَ الْإِقْبَالِ شَيْئًا إِذَا مَا رَحْتَ تُمَعِنُ فِي خَطَابِ
 وَتَنْتَظِرُ الْجَوَابَ عَلَى سَوَالِ فَيَبْقَى مَا سَأَلْتَ بِلا جَوَابِ
 مَعَ الْعِلْمِ الْأَكِيدِ بِأَنْ مَا فِي جِرَابِكَ لَمْ يَزَلْ ضَمْنِ الْجِرَابِ
 وَمَا غَيَّرْتَ مَوْضُوعًا قَدِيمًا وَلَا حَاوَلْتَ تَجْدِيدًا لِبَابِ
 تُرِيدُكَ أَنْ تَكُونَ رَسُولَ حَقِّ تَشْمُرُ لِلجِهَادِ وَلِلْغَلَابِ
 وَتَهْجُرَ بَرَجَكَ الْعَاجِيَّ حَتَّى تُحَسَّ بِمَا يَحْسُ ابْنُ التَّرَابِ
 وَتَشْعُرُ كَمْ يِعَانِي مِنْ رَزَايَا وَكَمْ يُسْقَى الْمَرِيرَ مِنَ الشَّرَابِ
 فَتَجْعَلُ عِلْمَكَ الْمَوْفُورَ وَقَفًا عَلَى حُلِّ الْمَشَاكِلِ وَالصَّعَابِ
 وَتُرْسِلَ مِنْ صَرَاخِ الْحَقِّ شِعْرًا يَخْفُفُ لَوْعَةَ الْقَلْبِ الْمَذَابِ
 قُلُوبُ الْكَادِحِينَ مِنَ الْبِرَايَا يَضْرُسُهَا الشَّقَاءُ بِكُلِّ نَابِ
 فَمَا صَيَغَ الْبَيَانَ لِقَوْلِ زَوْرٍ وَلَا الْوَجْدَانَ قُدْسَ لِلتَّغَابِي
 وَمَا نَفَعُ الثَّقَافَةَ مِنْ أَنْاسٍ إِذَا لَمْ يَسْلُكُوا طَرَقَ الصَّوَابِ
 وَمَا رَفَعُوا ثِقَافَتَهُمْ مَنَارًا لِهَذَا الْجِيلِ يَسْطَعُ كَالشُّهَابِ
 وَلَا مَدَّوْا إِلَى الْمَظْلُومِ كَفًّا لَتُرفَعَ عَنْهُ أَسْوَاطُ الْعَذَابِ

وما يُجدي برّبك عذبُ ماءٍ إذا لم يَسعَ يوماً لانسِيابِ
ويقتحم المفاوز باندفاع ليخمي تُربةَ الأرضِ اليَبابِ
وهل يُجدي ركودُ الماءِ إلّا وباءٌ يَسْتحِيلُ إلى خرابِ

النبطية ١٩٤٥/١٢/٥

منطق ضفدع وسمنة الخنزير

"أرسلت هذه الأبيات من " حلبا " عكّار شمال لبنان إلى الأستاذ السيد نور الدين بدر الدين في النبطية في ١٩٤٧/١/١".

أرايت عودة فارس مقهور
وأمرض ما يلقي الكريم إذا انبرى
ذهب العدو برخله ويماله
وتفرق الأشياغ عنه فأصبحوا
فمشى يفتش عن أسأ لجراحه
وافى الحمى فإذا الذين لأجلهم
وسعى لخيرهم وأجهد نفسه
وأحب أن يشقى لينعم عيشهم
لا يحمد العمل الكريم لديهم
عقبان جؤ إن دُعوا لدنيئة
وسيوف ظالمهم إذا ما أظلموا
فمضى يتابع سيره في مهمه^(٢)
سلواه من دنياه نفس حرة

من ساحة الهيجا بشر مصير
لصراع أهل تعسف وفجور
وبسيفه لعبث يد التكسير
ما بين مقتول وبين أسير
وعن السلو لقلبه الموتور
لاقى من الأيام كل مرير
في رد مظلمة ودفع شرور
ويُنار أفقهم بساطع نور
ويُبادل التكريم بالتحقير
وبساحة الهيجا بُغاثُ طيور^(١)
ونصيرهم فيهم بغير نصير
قفّر وفي أفق من الديجور
ما مسّها زَيْغٌ وطهر ضمير

(١) البُغاث: طائر بطيء الطيران.

(٢) المهمّة: المكان الخالي.

علماً بأن لكل ليلٍ مُنتهى ولكل فجرٍ موعدٌ لظهور

فليَنعم الأندالُ عيشاً وليطب
وتَقَرُّ أعينُهُم ويَخْلُو بألهم
ويَجِرُّ من تعبٍ لأهل حميةٍ
يَهْنِيهِم مات الضميرُ لديهم
لا يَالمونَ إذا أصابوا بَلغةً^(١)
ويطيبُ عندهم تَزاحمهم على
لِيُشَنَّفَ الأسماعُ باطلُ نُطقه
يَهْنِيهِم لا يَابهون لمنكرٍ
فنفوسُهُم ترتادُ آسنَ مورِدٍ
فإذا استمعتَ لهم فمنطقُ ضفدعٍ
لهمُ التقلُّبُ في فراشِ حريرٍ
مما يُحمِّله رقيقُ شعورٍ
قَوْلٌ بمعروفٍ وعونُ فقيرٍ
وخلوا من الإحساس والتفكيرِ
من هضمِ حقٍ أو شهادة زورٍ
أبوابِ ذي حَوَلٍ وربِّ قصورٍ
ويُدغِدغُ الأنافَ ريحُ قدورٍ
أو يحفلون بمسلكِ مَحْظورٍ
وطعامُهُم للهام غيرُ ظهورٍ
وإذا نظرتَ فسيمنةُ الخنزيرِ

بان الطريقُ لمن يُريد رفاةً
فينال بين الناس أرفعَ منزلٍ
يا ليتني من قبل كنتُ سلكته
ماذا جنت لي رأفتي وحميتي
في الكدِّ والإجهاد غير تحسّرٍ
يا ضيعةَ الأخلاق يذهبُ ريحُها
وشقاء من علقَتْ به أسبابها
ويعيشُ مغموراً بجوِّ سرورٍ
ويحاط بالتطبيل والتزويرِ
وعملتُ قبل اليوم ضدَّ ضميري
من بعد أعوام مضت وشهورٍ
مُرَّ على عهد الصبا المهدورِ
وتغيَّب خلف غياهبٍ وستورٍ
في عالم الإجرام والتزويرِ

(١) البلغة: النهاية في الحق.

سأسيرُ بعدَ اليوم خلفَ غوايتي
ممي تطلّب لذةً وسرور
لا سائلاً عما يُدنّس ذمّةً
فلقد عرفتُ اليوم بعد تجاربي
كما أكون بذِي الحياة مُنعماً
فالإثم يمكن أن يُرى كفضيلةٍ
ما زالت الدنيا نصيبَ مُخادعٍ
والدينُ والأخلاقُ لَغَوٌّ في الوري
فمع الثعالب سوف أصبح ثعلباً
وأجدُ كي أغدو كأمكر مأكّر
أعطي القويّ من اللسان حلاوةً^(١)
وأكون من أنصاره إمّا طغى
حتى يصادقني ويصبحَ ناصري
وبصير يشركني بلامع جاهه
وهناك أصبح مثل سبع كاسرٍ
ويُسارعون مُطأطئين رؤوسهم
فأنال من أموالهم ونفوسهم
لكنّما وهنا المصيبةُ لم يعد
إذ سوف يقعدني اختمارُ عقيدتي
وسيستحيلُ عليّ بعد تحرّري

مُتتبّعاً آثار كلّ غريبٍ
وتحذلقُ سمجٌ وحبٌ ظهورٍ
أو عابثاً بمحرّم منكورٍ
أيّ المسالك أنتحي بمسيري
وأفوزُ بالإجلال والتقديرِ
ويكافأ المأثومُ كالمأجورِ
والعيشُ حظُّ الفاتك الشريرِ
والناسُ بين ثعالبٍ وحميرِ
أحتال في سعيي وفي تدبيري
قذَفَ الوجود به ظلامٌ وكورٍ
وأسير بين يديه كالمأسورِ
واشتطّ في زيفٍ به وغرورٍ
في كيد جاري أو شقاء نظيري
ويُنيلني من ماله الموفورِ
عندَ الحمير فيرهبون زئيري
بقيادة المختار والناطورِ
ما تستقيم به جميعُ أموري
لي الحولُ في التبديل والتغييرِ
عن أن أُحوّل خامري لفطيرِ
إحرازُ خطّ الخائن المأجورِ

(١) تضمين للقول:

يعطيك من طرف اللسان حلاوة ويروغ منك كما يروغ الثعلبُ

أمامنا دربان

جواب الأستاذ نور الدين بدر الدين النبطية ١٩٤٧/٢/٢٠

هَيَّجَتْ فِيّ لَوَاعِجِي وَشَعُورِي
وَبَعَثَتْ فِي نَفْسِي كَوَامِنَ لَوْعَةٍ
فَمَضَيْتُ أَنْفُسُهَا زَفِيرًا رُبَّمَا
تَشْكُو وَمَا شَكْوَاكَ لَوْ تَدْرِي سَوَى
مَاذَا يَشُوقُ مِنَ الْحَيَاةِ بِمَوْطِنٍ
وَالذُّرَّانُ^(٢) عَلَى النُّفُوسِ فَأَصْبَحَتْ
يَضْوِي^(٣) الْأَدِيبُ فَلَا يَصَادِفُ بُلْغَةً^(٤)
مَا عَاشَ إِلَّا ذُو ضَمِيرٍ مَيِّتٍ
مُتَقَلِّبًا فِي كُلِّ يَوْمٍ حَسْبَمَا
إِنْ رَمَتْ أَنْ تَقْضِيَ الْحَيَاةَ مُنْعَمًا
وَإِذَا قَضَيْتَ مَشَتْ وَرَاءَكَ شَلَّةٌ
وَرِثَاكَ أَقْطَابُ الْفَصَاحَةِ وَالْحَجَى

وَهَفَا لَنَجْوَاكَ الْمُرِيرِ ضَمِيرِي
عَمَلْتُ بِهَا زَمَنًا يَدُ التَّخْدِيرِ
حَمَلْتُهُ مَحْمُومًا إِلَيْكَ سَطُورِي
جَزءٌ مِنَ الْمَلَقَى عَلَيَّ يَسِيرِ
تَعْنُو الْأَسْوَدُ بِهِ لِحَكَمِ الْعِيرِ^(١)
أَحْرَارُهُ تَخْتَالُ تَحْتَ النِّيرِ
وَأَعَدَّتِ النِّعْمِي لِكُلِّ غَرِيرِ
فَاقِ الْوَرَى بِالْدَجَلِ وَالتَّغْرِيرِ
تَقْضِي الظُّرُوفُ وَمَهْنَتُهُ التَّغْيِيرِ
تَخْتَالُ فِي جَاهٍ وَلِبْسِ حَرِيرِ
وَدُفِنْتَ بِاسْمِ الصَّالِحِ الْمَبْرُورِ
بِالدَّرِّ مِنَ نَظْمٍ وَمِنْ مَنثورِ

(١) الحمير.

(٢) خيم.

(٣) يضوي : يهزل.

(٤) البلغة : كفاف العيش.

فَمُ نُلْقِ عَنَّا عِبءَ تَعْلِيمِ الْوَرَى
 وَاحْمِلْ جِرَابَكَ وَالْعَصَا وَأَسْرِعْ بِنَا
 فَأَمَامَنَا دَرِيَانُ فَاخْتَرْ مِنْهُمَا
 أَوَّلَاهُمَا إِنْ كُنْتَ صَاحِبَ تَرْكَةٍ
 بِغُهَا أَوْ أَرَهْنَهَا وَبِدُّدَهَا عَلَى
 عُرفُوا بِقُوَّةِ بَطْشِهِمْ وَبِلَاثِهِمْ
 يَتَفَرِّغُونَ إِذَا مَلَأَتْ جِيُوبُهُمْ
 وَإِذَا انْبَرَى أَحَدٌ لِنَقْدِكَ أَصْبَحُوا
 يَتَسَابِقُونَ إِلَى رِضَاكَ وَنَقَذُوا
 فَيَخَافُ سَطُوتَكَ الْجَمِيعُ وَتَعْتَلِي
 وَتَسِيرُ لِلْعَلِيَاءِ مِنْ مَتَزَعْمٍ
 وَهَنَّاكَ فَا فَعَلْ مَا يَرُوقُ وَلَا تَخَفْ
 وَطَرِيقُنَا الْآخَرَى فَايَسِّرْ مَسْلَكَ
 فَإِذَا بَرَكَ اللَّهُ مِثْلِي مَعْدَمًا
 مَا نَلْتَ مِنْ دُنْيَاكَ إِذْ أَبْصَرْتَهَا
 وَأَعَزَّ يَوْمٌ فِي الْحَيَاةِ تَعُدُّهُ
 وَالذَّلِيلُ نَمَتْهُ لَيْلٌ بِهِ
 فَاقْصِدْ بِنَا نَحْوَ الْعِرَاقِ فَإِنَّهُ
 وَهَنَّاكَ حَيْثُ عَلِمْتَ بَعْدَ تَغَيُّبٍ
 تَقْضِي عَلَى الْمَشْهُورِ بَيْنَ تَبْخُرٍ
 لَكِنَّمَا هِيَ فِي الْحَقِيقَةِ تَنْقُضِي
 وَتَجُولُ بَيْنَ الْجَوَامِعِ رَغْبَةً
 وَإِذَا عَنَانَا الدَّرْسُ كَانَ جَدَالَنَا
 مَا شَأْنُنَا غَيْرَ الْعَنَايَةِ بِاللَّحَى
 وَنَعُودُ تَسْبِقُنَا الدَّعَايَةُ لِلْحَمَى

وَهَدَايَةُ الْأَذْهَانِ نَحْوَ النُّورِ
 نَسْعَى مَعًا لِلْمَرْكَزِ الْمَنْظُورِ
 دَرِيًّا وَسِرًّا إِمَّا حَبَاكَ مَسِيرِي
 عَاشَتْ بِهَا الْأَجْدَادُ مِنْذُ دَهْوِرِ
 نَفَرِ بِهِمْ يَنْجَابُ كُلُّ عَسِيرِ
 فِي كَسْبِ آثَامٍ وَفَعْلِ شُرُورِ
 لِلْمَدْحِ وَالتَّطْبِيلِ وَالتَّزْمِيرِ
 رَهْنُ الْإِشَارَةِ عِنْدَ كُلِّ نَذِيرِ
 فِيهِ قَرَارُ الضَّرْبِ وَالتَّحْقِيرِ
 لِلْأَوْجِ فَوْقَ مَنَاكِبِ وَظَهْوِرِ
 رَغْمِ الْأَنْوَفِ لِنَائِبِ فَوْزِيرِ
 بِأَسَا فَإِنَّكَ فِي حِمَى الدُّسْتُورِ
 وَأَقْلُ تَكْلِفَةً عَلَى الْمَأْمُورِ
 لَا شَيْءَ خَلْفَكَ أَوْ أَمَامَكَ، نُورِي
 غَيْرَ الشَّقَا وَالْبُؤْسِ وَالتَّعْتِيرِ
 يَوْمًا طُعِمْتَ بِهِ رَغِيفَ شَعِيرِ
 أَلْجَفْتَ سَقْفَ الْبَيْتِ فَوْقَ حَصِيرِ
 عَوْنُ الضَّعِيفِ وَغَوْثُ كُلِّ فَقِيرِ
 يَمْتَدُّ أَعْوَامًا وَبَعْضَ شَهْوِرِ
 فِي الْفَقْهِ وَالتَّنْقِيبِ وَالتَّحْرِيرِ
 عِبْثًا بِقَرَبِ سَمَاوِرٍ أَوْ قُورِي
 فِي نَيْلِ إِحْسَانٍ وَجَمْعِ نَذْوِرِ
 بِطَرِيقَةِ التَّغْسِيلِ وَالتَّطْهِيرِ
 وَمِنْ الْعَمَائِمِ جُودَةَ التَّكْوِيرِ
 نَخْتَالُ بِاسْمِ الْعَالَمِ النُّحْرِيرِ

نُعْطِي دروساً بالتورع والتقوى
ونمدُّ للتقْبِيلِ أَيْدِ طالِما
نَتَكَلَّفُ التَّقْوَى ونأتي ضدها
فالزُّهْدُ معناه اقْتِنَاءُ نفائسٍ
وكذا القِنَاعَةُ قد تفيد تملكاً
وإذا تَقَوَّلَ في قداستنا امرؤ
كيف البقاء لأمّةٍ زعماؤها
أم كيف تصلحُ أمّةٌ علماؤها
يدعون للإصلاح في أقوالهم
لا رادعٌ عَمَّا يَدْنُسُ ذِمّةً
يا ويلهم ماذا يكون جوابهم
هل يحسنون هناك رداً مثلما
ويصوّرون السوء إحصاناً كما
أم يكشف الباري حقيقة أمرهم

هذا يجوز وذاك غير مهور
مُدَّتْ لَسَلْبٍ أو لكشف ستور
ونَكَيْفُ الألفاظ فعلٌ خبير
وطلابُ جاءٍ أو بناء قصور
أرضاً على رغم وزرع قبور
نرميه بالإلحاد والتكفير
أسّ البلاء وعلة التأخير
أصلُ الفساد ومعدنُ التزوير
وهمُ دعاةُ الهدم والتدمير
أو وازعٌ عن مُنكر محظور
يومَ الحساب لمُنكر ونكير
عُرفوا هنا ببلاغة التعبير
بَرعوا هنا بدقائق التصوير
ويُكابدون مرارة التشهير

صبراً أخي في الخطب لا تكُ يائساً
والمصلحون من الرجال نظيركم
ناضل ولا يُقعِدك من متزمتٍ
فَلَسَوْفَ ينقشعُ الظلامُ ويهتدي

فالنجح مكتوبٌ لكل صبور
هدفُ السهام وكلُّ قولٍ زور
نَقْدٌ ولا تَعْبَأُ بدسٍّ غيور
عُمِّي القلوبُ بسغيك المشكور

دنيا الجريمة والكذاب

رثاء فقيد الشباب سعيد علي طالب جابر

زهو الفتوة والشباب وفنون أحلام الشباب
والشائرات من الرغائب والأمانني العذاب
كيف ارتضيت لها الركود ولم تَذْزَها لانسياب
وتركتها نهب الفناء رهينة الأرض اليباب
من بعد ما كانت تجيش بأفق صدرك كالعُباب
ويضيق عنها ذا الوجود وما حواه من رحاب
وأحسرتاه على شبابك يستحيل إلى تراب
ويغيبُ نجمك في الظلام وأنت في شرح الشباب
ويُفَرِّ الوجه الجميل وكان يسطع كالشهاب

باليك معترك الحياة يجوسُ في أكناف غاب
والزهرة الفيحاء ما بين الأحبة والصحاب
وغياك أهلك في الشدا ند والملّمات الصّعب
قد كنتُ أمل أن أراك أنت في أسنى إهاب
لعمود يزهو عيشنا بلذيذ قرب مُستطاب
من بعد ما شطّط بنا دنيا الجريمة والكذاب

وسمعت أفاعيها لدس
يا بؤس ما أملتته
السم في صافي الشراب
كيف استحال إلى اكتئاب
ولا تفكر بالإياب
قبل مشؤوم الغياب
وحرمتك حتى من وداعك

كيس تبين

«آيات أرسلتها إلى عزّت بك الزين أستعجله في إرسال كيس تبين كان قد وعد بإرساله. والقصيدة لم تُبغ رخيصةً لأنها من فصل الشعر».

ما كنت يوماً في وعودك تخلف
فألوعدُ منك كحكم ربي ناجزٌ
تعطي فتفتح للمكارم بابها تلجي
وكانها البحرُ الذي لا ينتهي
وإذا الخلائق أنكرت ما أدعي
فليُنكروا أو يشهدوا ما ضرّني
وكفى بذلك شاهداً أني أرى
فلنغصر الليمونَ في عين العدى
بل كنت دوماً للوعود تُشرّف
والقولُ يحكيه الحسامُ المرهفُ
بها بالراحتين وتفحفتُ
وكانها الأفقُ الذي لا يُكشَفُ
وخلا من الناس المُقرُّ المنصفُ
(سلُ الخيار)^(١) بصدق قولِي أعرِفُ
ريق الحسود بذِي الشهادة يُنشفُ
وعلى ذقون المُنكرين نُتفتِفُ

* * * * *

ولكم عُذلتُ وقيل لي أين الوفا
تسعى لتُسْترها وأنّ بسترها
وتضيقُ أوقاتُ عليك قضيتها
وهناك حادثة لها يُتأسَفُ
لتكادُ نعجتُك الظريفة تُتلفُ
في حالك الليل البهيم تُعلَفُ

(١) هدية سابقة.

أما (الخيار) فقد صنعت مخللاً
لتزيد نفسك بالمأكل شهوةً
والجوع في كل الزوايا رابض
فيكون يقصد بالوفاء بوعده
ولو أن عندك من ذكاء ذرة
أو ما تراه قد تناسى عهده
فإذا بقيت بوعده متعلقاً
ويزول حلمك ب(القورما) في الشتا
سعت العواذل أن تفرق بيننا
ورأوا بكيس التبني خير وسيلة
لا تفرحوا يا عاذلين فعزت
لكن هناك مشاغل ومشاكل
فمتى تذكر سوف يُنجز وغده
ولسوف تملأ منه شاتي بطنها

للفنطزية^(١) منه يا متفلسف
فتروح لا يرويك إلا المنسف
والناس من ضيق بها تتأفف
تمزيق جيبك أو لبيتك ينسف
لكشفت عن نيّاته ما نكشفت
لما رأى إنجازَه لك يُسعد
فلسوف عمرُ الشاة حتماً يُقصّد
وترى كلاب الحيّ نحوك ترحّد
ليزول عهدٌ بالمودّة يُوصّد
للدّس فانبسطوا لذاك وكيفوا
ما كان يوماً بالتهرّب يُعرف
تُنسي ومنها واضح ومُلفّل
وإلى جنابي الكيس سوف يُشرّف
وعلى لحاكم ما يزيد سأنعّف

النبطية ١٢ شباط ١٩٤٦

(١) يقصد : البذخ

بمناسبة رحلة

أردت القيام برحلة إلى جبل سجد ونبع الطاسة برفقة تلامذة صفّي في مدرسة النبطية وطلبت من التلامذة أن يأتي كل منهم بموافقة خطيّة من أبيه. فأرسل الأديب الطريف عبد الله كحيل موافقته شعراً، وهي:

إنّ الرّياضة فيها كلّ منفعةٍ للبيض والسود والأقزام في الصغر
بها النشاط وللأولاد صالحهٌ لقد قبلنا بها يا (أقبح البشر)

واطلع الوجيه السيد رشيد حيدر جابر (أبو شكيب) على هذين البيتين وكان له ضمن تلامذة صفّي ولد. وكان حينذاك في عيادة الدكتور علي بدر الدين فأرسلنا هذه الأبيات:

أرى فرقة الكشاف للنشء حافزاً لإدراك ما من شأنه رفعة الرأس
قدغ سجداً إياك تأتي لأرضه وحاصر مع الأولاد في نبع الطاسي
رضينا بما قدّمته من شروطها فسافر على إسم الله يا (أجمل الناس)

فأرسلت للسيد عبد الله كحيل هذه القصيدة:

إنّ الرّياضة فيها كلّ منفعةٍ كما ذكرت لأنثى الناس والذكر
وفي الطّواف لكشف الأرض فائدة لمن يروم اطلاعاً من بني البشر
هذا لمن كان في يسر وفي سعة وكان يلبط حيط البيت من بطر

وضاق ذرعاً بمالٍ راح يكنزه
وما أظنك تبغي من موافقة
شمّ الهواء وكسب العلم أو أملاً
لكنما خطرث في البال خاطرة
ولأذ يعز على (المحروس) رؤيته
أردت تعلیمه قتل الزمان على
فینشد الشعر إماً سار مرتحلاً
"بالأمس كانوا هنا واليوم قدرحلو"

فیتلف المال بالترحال والسفر
على التنقل بين البدو والحضر
برؤية (النجل) لا يهتم بالخطر
فذكرتك بعيش الأنس والسمير
كما يراه ذوو الأموال والأسر
طريقة البدو والأكراد والنور
كما زووه قديماً عن (علي الأكری)^(١)
يا راهب الدير خلصني من الطفر

النبطية أواخر أيار ١٩٤٦

(١) يروي أهل النبطية أن أحد الإيرانيين كان يشتغل عند أحد الإسكافيين في بلدتهم ثم ترك البلدة بعد ذلك. وبعد فترة أتى إيراني آخر يسأل عنه، فقصد دكان الإسكافي وسأله:

- علي الأكری يشتغل عندكم ؟
فأجابه: كلاً، بالأمس كانوا هنا واليوم قد رحلوا.

مبايعة بإمارة الشعر

«أبو معن، السيد حسن يوسف بيطار من النبطية، طلب إمارة الشعر لنفسه بعد وفاة شوقي. فبايعه الشعراء الذين على شاكلته. وأرسلت له هذه الأبيات مبايعاً»:

أبا معنٍ لقد أصبحتَ فخراً
فما من بلدةٍ في الأرض إلا
من البحر المحيط بأرض صورٍ
لأنك أشعرُ الشعراء جميعاً
وخصك فوق ذلك ربُّ موسى
فصرتَ حديثَ السنة العذارى
وإن يوماً رأيتك في طريقٍ
وتُجمد أعينٌ ويسيلُ ريقٌ
وانت بهنَّ لا تُبدي اعتناءً
وما في خرجك المدلى ارتخاءً
ولكن قد شغلت عن الغواني

لأهل الفن في المعمور أجمع
وتُجمك في سماها بات يسطع
إلى الجبل المقيم عليه يوشع
وأكرم من فتى عيسٍ وأشجع
بحسن نلتَه مذ كنت ترضع
إذا ما راح يجمعهنَّ مخدع
تكادُ ظهورهنَّ لذاك تُخلع
ويخفق نابضُ ضمته أضلع
كأن أخت الغزال لديك ضفدع
ولا (المعلوم)^(١) جار عليه مبضع
بنظم قصيدةٍ وبقذفٍ مدفع^(٢)

(١) عضو الذكورة.

(٢) الضراط.

إلى أن صرت أشعرَ من جريرٍ ومن سبع الفلاة غدوت أشجع
فكنت كحصرم في عين خصم وفي ظهر الحسود شكلت إصبع
ونلت إمارة الشعراء طراً وصرت لهم مدى الأيام مرجع

شمسطار : حزيران ١٩٤٨

الماضي الحبيب

«أرسلت إلى السيد نورالدين بدر الدين (أبا الخطاب) في النبطية».

إليك أبا الخطاب ترجع بي الذكرى
 نعود إلى ماضٍ حبيبٍ حيثُ
 فكانوا لآلامي المريرة بلسمًا
 سراءً عفاةً كلهم أريحيةً
 نسيتُ لديهم كلَّ حيفٍ لقيتهُ
 وصرتُ أحسُّ القلبَ يعمرُ بالرضا
 نيا طيبه عيشاً لديهم قضيتهُ
 فَرُوحٌ وَرِيحَانٌ وصحبةٌ ماجدٍ
 بها خصّني ربي فأسرى ببعده
 ويُورك مشرياً به دون غيره

وتبعث بالأطياف حالمةً سكرى
 وأخوةً صدقٍ عشتُ بينهمُ دهرًا
 وفي أفقٍ عيشي أطلعوا أنجمًا زهرا
 بطيبهم فاضتُ ديارهم سحرا
 وأنقذتُ نفسي من جهنمي الحمرا
 وأنّ نواحيي النفس قد ملئت بشرا
 غنيتُ به عن أن أفكر بالأخرى
 وألوانُ فنٍّ لا أُطيقُ لها حصرا
 إلى دار زعماء تبارك مَنْ أسرى
 ليبدل بالأعسار من عيشه يُسرا

عليّ لكم دينٌ أودُّ وفاءهُ
 وقد آن لي ردُّ الجميل لأهله
 فلزّ كان بالإمكان صهرُ عواطفي
 ولم يعد الإنصافُ يقبل لي عُذرا
 ملأتُ سماكم من تفتُّقها عطرا
 تحمّلته دهرًا ونثتُ به ظهرا

ولو أنني أستطيعُ عصراً لمهجتي
ولو أظهرتُ لي ليلةُ القدرِ مرّةً
ولكنني والحمد لله عاجزٌ
أيمنحُ شعراً أصلحُ الرأسِ أقرعُ
ويعطي نوالاً مَنْ إذا ما بلوته
فلم يبقَ لي والحال ما قد علمته
وما يملك (المعلوم)^(١) يدليه عادةً
لأجل بني الأنباط أُنِدتُ قبلتي
وعفتُ لأجل الأريحية موطني
أولي المجد من عليا نزارٍ وهاشم
فيا واقفاً في الدرب أنجُ فبأسهم
ويا أرض ميدي يا جبالُ تدكدي
وهذا هو التاريخُ يُرجعُ نفسه
وليس بعيداً أن يُجددَ عهدهم
فكيف لمثلي أن يشقَّ طريقه
وما لي من بأسٍ أخيف به امرءاً^(٢)
ولا نَسَبٌ في الأرض أصلُ جذوره
ولا لي وجهٌ يكسفُ الشمسَ نوره
فَمَا أنا إلا غلطةٌ في صحيفةٍ

لكنْتُ أسلتُ الأرضَ من تحتكم خمرًا
لطالبتها أن لا تُشيب لكم شعرا
فلا نفع عندي ترتضيه ولا ضراً
ويحمي سواه مَنْ بلحيته جرّاً
تأملت سوس الفقر ينخره نخرا
سوى (اضعف الإيمان) أُرسله شعرٌ
وليس عليه أن يُدندله متراً
وحولت وجهي نحو أرضك يا (بترا)^(٢)
وأبناءه من نسل سيدتي الزهرا
بموكبهم تمشي بأبطالها (شقرا)
يُريك نجومَ الليل طالعةً ظهرا
فقد زحف الإيمانُ يقتلع الكفرا
فأجدادهم من قبل قد سحقوا كسرى
ويستملكوا الأجواء والبر والبحرا
وقد قامت الدنيا قيامتها الكبرى
ولا همّةُ قعساء تقتلع الصخرًا
وأغصانه في الخافقين علتُ قدرا
ولا لحيّةُ شقرا ولا عِمّةُ خضرا
يمرُّ بها القراء مرّاً ولا تُقرا

(١) الحمار

(٢) بترا : عاصمة النبطيين، يقصد هنا النبطية حيث يُزعم أنها تنتسب إلى النبطيين أو الأنباط .

(٣) في نسخة ج : وما لي من قرن فأفزر نعجة.

وَلَسْتُ إِذَا مَا الْمَجْدُ عُدَّ قَطِيعَهُ سَوَى عَنزَةٍ مِنْ بَعْضِ (مَا عَزَّهِ الْعَزَا)

* * * * *

فَمَا لِي وَالْأَمْجَادُ تَنْفَخُ مَعْدَتِي وَتُفَرِّغُ قَلْبِي مِنْ طَبَاعِ رَضِيَّةٍ
وَتَجْعَلُ مِنِّي الرَّأْسَ مِنْ سَخْفٍ قَفْرًا فَلَا أَرْضِي إِلَّا الْمَجْرَّةَ مَسْكَنًا
وَتَجْعَلُنِي كَالطَّبِلِ تُشْبِعُهُ نَقْرًا وَأُبْصِرُ نَفْسِي مُحَوَّرَ الْكَوْنِ كُلَّهُ
وَتَجْعَلُ مِنِّي الرَّأْسَ مِنْ سَخْفٍ قَفْرًا أَدِيبًا لَبِيبًا فِيلَسُوفًا مُحَنِّكًَا
وَتَجْعَلُ مِنِّي الرَّأْسَ مِنْ سَخْفٍ قَفْرًا (مَكْرٍ مَفْرٍ مَقْبَلٍ مَذْبَرٍ مَعَا) ^(١)
وَتَجْعَلُ مِنِّي الرَّأْسَ مِنْ سَخْفٍ قَفْرًا بَدُونِي لَا يُرْجَى صِلَاحٌ لِأُمَّةٍ
وَتَجْعَلُ مِنِّي الرَّأْسَ مِنْ سَخْفٍ قَفْرًا وَأَمْضِي وَشَيْطَانُ الْغُرُورِ يَقُودُنِي
وَتَجْعَلُ مِنِّي الرَّأْسَ مِنْ سَخْفٍ قَفْرًا فَأَغْفُو كَمَا يَغْفُو مُعَاقِرُ خَمْرَةٍ
وَتَجْعَلُ مِنِّي الرَّأْسَ مِنْ سَخْفٍ قَفْرًا وَتَأْخُذْنِي غَيْبُوبَةٌ مُضْهِرِيَّةٌ
وَتَجْعَلُ مِنِّي الرَّأْسَ مِنْ سَخْفٍ قَفْرًا وَقَدْ أَغَشَتْ الْأَبْصَارَ أَنْوَارُ عَزَّتِي
وَتَجْعَلُ مِنِّي الرَّأْسَ مِنْ سَخْفٍ قَفْرًا دَخِيلُكَ نَوْرَ الدِّينِ يَا بَدْرَ دِينِنَا
وَتَجْعَلُ مِنِّي الرَّأْسَ مِنْ سَخْفٍ قَفْرًا أَعُودُ إِلَيْكَ الْيَوْمَ أَبَدِي نَدَامَتِي
وَتَجْعَلُ مِنِّي الرَّأْسَ مِنْ سَخْفٍ قَفْرًا وَأُلْقِي الْعَصَا كَيْ يَسْتَقَرَّ بِي النَّوَى
وَتَجْعَلُ مِنِّي الرَّأْسَ مِنْ سَخْفٍ قَفْرًا فَقَدْ ضَلَّ سَعْيِي حِينَ رَحْتُ مَيِّمًا
وَتَجْعَلُ مِنِّي الرَّأْسَ مِنْ سَخْفٍ قَفْرًا يَوَدُّ أَخُو الْإِحْسَاسِ لَوْ أَنَّ أَذْنَهُ
وَتَجْعَلُ مِنِّي الرَّأْسَ مِنْ سَخْفٍ قَفْرًا فَلَا عَيْنُ تَبْكِي أَوْ جَوَارِحُ تَشْتَكِي
وَتَجْعَلُ مِنِّي الرَّأْسَ مِنْ سَخْفٍ قَفْرًا فَدَعْنِي يَا مَوْلَايَ الْتَمَسُ الرِّضَا

وتجعلُنني كالطبل تُشبعُهُ نقرا
وتجعلُ مِنِّي الرَّأْسَ مِنْ سَخْفٍ قَفْرًا
وغيرَ رفيعِ النجم لا أعتلي مُهرا
وأوسعَ مَنْ فِي الْأَرْضِ قَاطِبَةً فِكْرًا
خطيباً يسيلُ القولُ مِنْ فَمِهِ ذُرّاً
إذا مَا رَأْنِي الْفِيلُ مِنْ خَوْفِهِ فَرّاً
ولا ترتضي غيري يقودُ ^(٢) لها أمرا
كما تحملُ الْأَرْيَاحُ فِي مَتْنِهَا قَشْرًا
وقَدْ عَبَّ مِنْهَا دُونَ مَا (مَازَةٍ) ^(٣) لَيْتِراً
فأحلمُ أَنَّ الْكَوْنَ قَدْ دَانَ لِي طَرّاً
وسَجَّلَ لِي التَّارِيخُ فِي سِفْرِهِ سَطْرًا
وأكرمُ بَدِينِ نَصْطَفِيكَ لَهُ بَدْرًا
وأرفعُ مِنْ بَعْدِ الْعُقُوقِ لَكَ الْعَشْرًا
وأكسبُ بَعْدَ الْإِثْمِ فِي قُرْبِكَ الْأَجْرًا
بَلَاداً تَرَى سَهْلَ الْحَيَاةِ بِهَا وَغَرًّا
أَصَمَّتْ بِهَا أَوْ أَنَّ مُقْلَتَهُ عَوْرًا
ويسكنُ قَبْلَ الْمَوْتِ فِي بَيْتِهِ قَبْرًا
وأغرفُ مِنْ أَنْوَارِ طَلْعَتِكَ الْغَرًّا

(١) صدر بيت شعر لامرئ القيس.

(٢) في نسخة ج: يُدير.

(٣) المازة: المقبلات تقدّم مع الشراب.

وَأَشْفَعُ بِالتَّقْبِيلِ رَاحَتَكَ الْيُسْرَى
يَشْمُ لَهُ مَنْ رَاحَ يَلْشُمُهُ عَطْرًا
وَلَا لَامَسَتْ يَوْمًا أَنَامُكَ الدُّبْرَا
عَلَى بَابِكَ الْخَلْفِيِّ قُلْ لِي مَا مَرَا
لَكَانَ قَفَاكَ الشَّهْمَ مِنْبِرْنَا^(٢) الْحَرَا
وَتَزْرَعُ لِلْإِيمَانِ فِي أَرْضِنَا بَذْرَا
بِتَقْوَاكَ نَسْتَشْفِي وَنَسْتَنْزِلُ الْقَطْرَا
وَفِي خِدْمَةِ الشَّيْطَانِ قَدْ ضَيَّعَ الْعَمْرَا
وَغَيْرَ طَرِيقِ الْحَبِّ لَمْ يَنْتَجِ مَسْرَى
وَيَغْرُقُ فِي الْآمَالِ تَحْسِبُهَا بَحْرَا
فَأَسْرَفَ بِالْإِمْعَانِ فِي إِثْرِهَا سِيرَا
فَلَمْ يَسْتَغْبِ زَيْدًا وَلَمْ يَنْتَقِذْ عَمْرَا
وَزَنَّ بِكُلِّ النَّاسِ مِنْ جَهْلِهِ خَيْرَا

شقرا : أول كانون الثاني ١٩٦٠

(١) في رواية : لأنك ما شطفت فخلدك مرة.
- وفي رواية أخرى : لأنك بالتنظيف ما قمت مرة.
(٢) في نسخة ج: رائدنا الحرّا.

حِكْمٌ نِعَالِكَ (١)

أرسلت إلى السيد نور الدين بدر الدين بمناسبة انتهاء شهر رمضان^(١).

حِكْمٌ نِعَالِكَ فِي رِقَابِ الْحُسَّيدِ
نَازِلُهُمْ لَا تَخْشَ فَعَلَ نِعَالَهُمْ
وَابْعَثْ عَلَيْهِمْ مِنْ لِسَانِكَ عَاصِفًا
لَا يَسْلَمُ الشَّرَفُ الرَّفِيعُ مِنَ الْأَذَى^(٢)
فَاسْتَعْجَلِ الزَّخْفَ الْمُقَدَّسَ وَلْتَكُنْ
فَعْلَى خَصَائِصِكَ الْفَرِيدَةِ سَيِّدِي
وَكُفَّاكَ مِنْهَا إِنْ عَدَدْتَ ثَلَاثَةً
حَيْثُ التَّقِيَتْ بِهِمْ وَلَا تَتَرَدَّدِ
إِنْ قَاوَمُوكَ فِي الْمُنَازَلَةِ اضْمُدِ
يُلْقِي بِهِمْ فِي بَحْرِ غِيْظٍ مُزِيدِ
إِمَّا سَكَتَ وَكُنْتَ مَكْتُوفَ الْيَدِ
فِي مَسْتَوَى الْأَحْدَاثِ وَلْتَسْتَأْسِدِ
تُبْنِي مَدَامِيكَ الْعُلَى وَالسُّودِدِ
الْقُبْحُ^(٣) وَالْإِفْلَاسُ وَالْأَصْلُ الرَّدِي

(١) يذكر السيد نور الدين بدر الدين أنَّ السيد جعفر كتب مقدمة لهذه القصيدة جاء فيها:

أخي أبا الخطاب، طبعاً كل شيء يسير نحو التقاعد جسماً وعقلاً وعاطفةً، وبالتالي لم يعد في ذلك الزخم، لا الفوقاني ولا التحتاني، وإن كنت من آن لآخر أحاول التطلع إلى هنا وهناك، فإنما ذلك على سبيل العادة أو لإثبات الوجود. وهذه محاولة أرسلها إليك متأكداً من سُقمها واختلال التوازن فيها، ولكنها العادة، وكل عام وأنت والصديق (أبو غسان) كامل ظاهر بخير.

(٢) صدر هذا البيت للمتنبى كما هو معلوم.

(٣) في مخطوطة ج: الشكل والإفلاس...

أَمَّنَارَتِي فِي الْحَالِكَاتِ وَفَرَقْدِي
 إِنِّي لَتَأْبِعُكَ الْأَمِينَ وَإِنَّهُ
 فَأَعْرِ لِسَانِي مِنْ لَدُنْكَ بِلَاغَةً
 حَتَّى أَصِيرَ كَمَا تُرِيدُ لِي الْعُلَى
 فَأَخْوَضُ مَعْرَكَةَ النُّعَالِ مُجَاهِداً
 وَأَرُدُّ عَنْكَ الْحَاسِدِينَ وَكَيْدَهُمْ^(١)
 مُسْتَأْثِراً بِالنَّصْرِ رَغْمَ أَنْوْفِهِمْ
 فَأَرْوِحُ أَخْطَرُ^(٢) كَالْمَشِيرِ مَهَابَةً^(٣)
 وَمُقْلَدِي فِي الْمُسْكَلَاتِ وَمُرْشِدِي
 لَعَلِّي خَطِي الْهَادِي يَسِيرُ الْمُهْتَدِي
 وَيَدِي بِنَعْلِ مَنْ نَعَالِكَ زَوْدٌ
 وَكَمَا يَلِيقُ بِعَالَمِي وَبِمَحْتَدِي
 بِعَزِيمَةِ الشَّهْمِ الْأَجَلُ الْأَمَجْدِ
 وَأَكُونُ بَيْنَ يَدَيْكَ خَيْرُ مُجَنَّدِ
 لِيَشِيعَ مَجْدُكَ بِالسَّنَا الْمُتَوَقَّدِ
 وَتَعُودُ^(٤) تَزْهَوُ كَالزَّعِيمِ الْأَوْحِدِ^(٥)

* * * * *

لَا تَغْجِبَنَّ إِذَا بُلِيتَ بِحَاسِدٍ
 أَوْ لَمْ تَنْلُ كَنْزَ السَّعَادَةِ دُونَهُ
 بِقِنَاعَةٍ لَمْ يَرْضَ غَيْرُكَ حَمَلَهَا
 كَمْ رَاوَدَتْكَ النَّفْسُ تَبْغِي مُتَعَةً
 وَقَنَعَتْ بِالذِّكْرِ الْحَمِيدِ عَنِ الْغَنَى
 وَيَقِيتَ رَغَمَ الْمُغْرِيَاتِ مُعَلِّماً
 أَتَرَى سِوَاكَ يُرِيدُ هَذَرَ حَيَاتِهِ
 مَا مِنْ عَظِيمٍ فِي الْوَرَى لَمْ يُحْسِدِ
 وَعُدْذَتْ^(٦) بَيْنَ النَّاسِ شِبْهَ مُخْلَدِ
 وَبِفَضْلِ طَوْلِ تَصَبُّرٍ وَتَجَلُّدِ
 فَأَجَبَتْهَا دَوماً " مَكَانَكَ تُحْمَدِي "^(٧)
 وَعَنِ اللَّذَائِذِ بِالسَّلَوِكَ الْجَيِّدِ
 وَعَلَى جَحِيمِ الْكِبْتِ لَمْ تَتَمَرَّدِ
 مَا بَيْنَ طَاوِلَةٍ وَلَوْحٍ أَسْوَدِ

-
- (١) في مخطوطة ج: ومكرهم.
 (٢) في مخطوطة ج: وأعود أمشي.
 (٣) تعريض بالمشير عبد الكريم عامر في مصر.
 (٤) في مخطوطة ج: وتروح.
 (٥) الزعيم الأوحدي: عبد الكريم قاسم في العراق.
 (٦) في مخطوطة ج: وغدوت.
 (٧) مكانك تحمدي أو تستريحني، عجز بيت من قديم الشعر.

وبغرفة كالقبر أو هي دونه
 مُتَحَمِّلاً كابوس (سعفص) ليله
 يا حامل الآلام عن هذا الوري
 وعَلَيْكَ مِنْ نور الرسالة هالة
 وتركتَ خَلْفَكَ حَاسِدِيكَ بِحُرْقَةٍ
 حَابَ الذي يهجوكَ دوماً قائلاً
 (ومعلم الأولاد أصقُعُ لحية
 أو ما دَرَى أَنَّ ابنَ أكبر قحبة
 كم مرةً بالسوط رُحِتَ تَنَالُهُ
 لا سَائِلاً عَنْ قَامَةِ مِيَادَةٍ
 وهو الذي لو كَانَ مرَّ بعابِدٍ
 وَلَعَافَ مِنْ شَوْقٍ إِلَيْهِ صَلَاتِهِ

في وضع مشلول وجلسة مُقْعِدٍ
 ونهاره تُشْقِيهِ صَحْبَةُ (أبجد)^(١)
 يَهْنِيكَ قَدْ بُوِّثَ أَسْمَى مُقْعِدٍ
 فَكَأَنَّ وَجْهَكَ قِطْعَةً مِنْ فَرْقِدٍ
 يَتَقَلَّبُونَ كَأَنَّهُمْ فِي مَوْقِدٍ
 بوقاحة الجلف الجهول المَعْتَدِي^(٢)
 مِنْ حَائِكٍ وَمُسْكِفٍ وَمُنْجِدٍ^(٣)
 يَخْشَاكَ إِنْ تُبْرِقَ وَإِنْ لَمْ تَرْعِدِ
 ودموعه تجري على الخد الندي
 أو عَابِئاً بِتَأْلُفٍ وَتَوَرُّدٍ
 لَلطَى لَهُ حَتْمًا بِبَابِ الْمَسْجِدِ^(٤)
 وقضى الليالي في جوى وتنهد

* * * * *

وَمُخَنَّبٌ غَثَّ السَّلِيْقَةِ تَافِهِ
 أَغْرَاهُ مِنْ دُنْيَاكَ فَرُطٌ هُزَالُهَا
 تَخْذُ (العقيدة) كَالْغَطَاءِ لِنَقْصِهِ
 وَكَأَنَّهُ الْوُطَوَاظُ لَوْنُ جِسْمِهِ

لا لِلنَدَى أَهْلٌ وَلَا لِمِهْنِدٍ
 فَاَنْسَلْ يَنْسُجُ عُدَّةَ الْمُتَصِيدِ
 كَحَدِيدَةٍ طَلَيْتَ بَرَائِقَ عَسْجِدِ
 مُتَلَمَّسًا^(٥) عِبْنًا جَمَالَ الْهُدُودِ

(١) من الأبجدية : أبجد هوز، حطي ... سعفص...

(٢) في مخطوطة ج: الأبلد.

(٣) من الشعر القديم.

(٤) من قول الشاعر:

قُلْ لِلْمَلِيحَةِ فِي الْخَمَارِ الْأَسْوَدِ مَاذَا فَعَلْتَ بِنَاسِكَ مُتَعَبِّدِ
 (٥) في مخطوطة ج: متلبسًا.

كَيْمَا يُقَالُ^(١) بَأَنَّهُ مَتَفَوِّقٌ
 رَامَ الْعَقِيدَةَ كَيْ يُفَكِّكَ عَقْدَةً
 وَإِذَا بِهِ يَفْتَنَاتُ مِنْ أَشْلَائِهِ
 وَيَقِيَتْ أَنْتَ عَلَى حِجَاكِ مُثَابِرًا
 لَمْ تَسَعْ يَوْمًا أَنْ تَكُونَ مُصَدِّرًا
 وَخَرَصْتَ أَنْ لَا يَسْتَبِيكَ تَدْمَشْقُ^(٢)
 وَتَرَكْتَ غَيْرَكَ لِلْمَطَامِعِ طُعْمَةً
 وَيُعَدُّ رَائِدَ نَهْضَةٍ وَتَجَدُّ
 فِي نَفْسِهِ فَاِزْدَادَ سُوءَ تَعَقُّدٍ
 كَالْهَرِّ يُطْعَمُ مِنْ حَدِيدِ الْمَبْرِدِ^(٣)
 وَعَنْ التَّزَهُدِ خَطْوَةً لَمْ تَبْعُدِ
 لِعَقِيدَةٍ كَلًّا وَلَمْ تَسْتَوِرِدِ^(٤)
 أَوْ أَنْ تَجُنَّ فَتُبْتَلَى بِتَبْغُذٍ^(٥)
 وَسَلَمْتَ لَمْ تُسْحَلْ وَلَمْ تَسْتَشْهَدْ^(٦)

يَا مَنْ بَدَنِيَاءَ اسْتَخَفَّ فَعَدَّهَا
 وَأَنَسَاقَ خَلْفَ صَلَاتِهِ وَصِيَامِهِ
 إِهْنَاءُ قَشَوَالٍ أَطْلُ هَلَالُهُ
 وَارْتِخَ فَنَفْسِكَ قَدْ أَطْلَتْ عَنَاءَهَا
 مَاذَا عَلَيْكَ إِذَا فَكَّكَتْ عِقَالَهَا
 وَأَذَقَتْهَا بَعْضَ الَّذِي سَتَنَالُهُ
 وَلَهَا الرِّصِيدُ الضَّخْمُ عِنْدَ إِلَهَا
 ثَوْبًا مَعَارًا لَا يَدُومُ لِمَرْتَدِي
 مُتَبَتِّلًا يَرْجُو الشِّفَاعَةَ فِي غَدٍ
 وَافْرُخَ بِمَقْدَمِهِ السَّعِيدِ وَعَيْدٍ
 بِتَضَرُّعٍ وَتَهَجُّدٍ وَتَعَبُّدٍ
 وَرَجِمَتْهَا بَعْدَ الصِّيَامِ الْمُجْهِدِ
 يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي النِّعَمِ السَّرْمَدِي^(٧)
 نَهْرٌ مِنَ اللَّذَاتِ عَذْبُ الْمُورِدِ

(١) في مخطوطة ج: ليقال عنه...

(٢) من قول المثل شعراً.

(٣) تعريض بمستوردي الأفكار والعقائد.

(٤) الميل إلى سياسة دمشق.

(٥) الولاء للسياسة العراقية في بغداد.

(٦) إشارة إلى ما كان يجري في بغداد من سحل وقتل عام ١٩٥٨

(٧) إشارة إلى ما وُعدَّ به المؤمنون في الجنة من عسلٍ وخمر.

فاطلب لها منه لعبدك سلفاً
وانعم ولو في العمر يوماً واحداً
كاس وطاس والتهام أطايب
وعلى الحساب كما يشاء ليقيم^(١)
وأدرك ففأك إعادلي ومُنْذِر
وغناء عامرة وصحبة أمر

شقرا في ١٩٦٥/١/٣٠

(١) من قول عمر الخيام: إنَّ نقداً من طول وعِدٍ لأجدر (الرباعيات).

علم ببرقة تهمد

أخي السيد جعفر
سُقياً للأيام الماضية التي كنا نتمتع خلالها بموفور الصحة
والعافية، وما أن تطلع علينا بإحدى معلقائك حتى ننبري للإجابة
عليها فوراً . وأما اليوم، فقد وصلتني (رسالتكم) قصيادتكم منذ مدة
طويلة وكلما عزمت على التفرغ لكتابة الجواب يقف بوجهي ألف
عائق وعائق...إنيأناك وأن يتبادر إلى ذهنك من كلمة التفرغ، التفرغ من
الأعمال الاقتصادية والمصرفية أو ما شابه، لا، لا. وإنما عنيتُ بها
التفرغ من مراجعة الأطباء وإجراء الفحوص، إذ لا أزال أشكو من
جَراء العمليات والمجارير الداخلية التي لم ينتظم عملها بعد كما
يجب. لكل هذا فقد زَحَرْنَا وزَحَرْنَا فكان هذا المولود المسخ، وما
العمل؟ فلم يكن بالإمكان أحسن مما كان (وقديماً قال المثل: اللي
عندو الحمار بيدندلو).^(١)

لا نعل نضع فيه وجه المعتدي إماً عدا ونرد كيد الحسد
ما حيلني مع من بروم لي الأذى ومن الذي اسخلصته فرغت يدي
الأوفياء من الصحاب تفرقوا وغدوت من جمع اللئام بمرصد
يتربصون بي الدوائر مثلما يتربص الظمان عذب المورد

(١) ما بين قوسين ورد في : مخطوطة جعفر.

سَلُّوا سِيوفَ الحَقْدِ مِنْ أَغْمَادِهَا
 زَرَدُوا^(١) عَلَيَّ فَمَا خَشِيتُ هَرِيرَهُمْ^(٢)
 الْحَرُّ يَبْعَثُ قُوَّةً مِنْ ضَعْفِهِ
 فَزَارَتْ بَيْنَ جُمُوعِهِمْ فَتَفَرَّقُوا^(٣)
 وَكَأَنِّي لَمْ يَكْفِنِي كَيْدُ الْعَدَى
 نَعَلُو بِهِ الْأَيَّامَ وَهُوَ يَذْمُهَا
 أَغْرَاهُ مَا أَمْسَى بِهِ مِنْ رَفْعَةٍ
 وَالْعَدْلُ يَقْضِي أَنْ يَكُونَ مُبْصِراً

كَرْهًا وَآيُ مَنَافِقِي لَمْ يَحْقِدِ
 وَصَمَدْتُ فِي وَجْهِ الْجَمِيعِ بِمُفْرَدِي
 إِمَّا تَعَرَّضَ لِلثِّيمِ الْمَعْتَدِي
 مِثْلَ الْأَرَانِبِ وَسَطَ غَابِ مُؤْسِدِ
 حَتَّى شَقِيتُ بِخُبَيْثِ عَبْدٍ أَسْوَدِ^(٤)
 فَكَأَنَّهُ عَلِمَ بِبُرْقَةِ تَهْمِدِ^(٥)
 فَعَدَا يُفَاخِرُنَا بِطِيبِ الْمُحْتَدِ
 أَوْ أَنْ يُطَوَّبَ خَادِمًا فِي مَسْجِدِ

يَشْكُو الدَّنَى مَنْ لَيْسَ يَشْكُو عِلَّةً
 لَا يَسْتَطِيعُ إِذَا أَرَادَ تَحْرِكًا
 أَتْرِيدُنِي مِنْ بَعْدِ مَا فَتَكْتُ بِي
 تَبْنَا وَلَكِنْ تَوْبَةً فَسْرِيَةً
 إِنْ كُنْتَ تَمْشِي لِلتَّقَاعِدِ مُسْرِعًا
 ثَبْنَا وَشَاخَ الْعَقْلُ قَبْلَ أَوَانِهِ

مَاذَا بِقَوْلِكَ فِي جَرِيحِ مُقْعَدِ
 لِقَضَاءِ حَاجَتِهِ إِذَا لَمْ يُسْنَدِ
 الْأَدَوَاءُ أَنْ أَلْهُو وَأَنْظَرَ لِلْغَدِ
 فَالْقَلْبُ فِي عَمَةٍ^(٦) وَلَمَّا يَهْتَدِي
 فَلَقَدْ تَقَاعَدْنَا وَإِنْ لَمْ نَقْعُدِ
 وَالنَفْسُ بَعْدُ صَبِيَّةٌ لَمْ تَنْهَدِ^(٧)

(١) زردوا : هجموا عند العامة، وفي القاموس زرد عينه على صاحبه : أي غضب عليه وتجهّم.

(٢) كما يهرّ الكلب دون أن ينبج.

(٣) في مخطوطة ج : فتنافروا.

(٤) تعريض بالسيد جعفر.

(٥) برقة تهمد : إسم مكان، ذكره طرفة بن العبد في مطلع معلقته :
 لسخولة أطلال ببرقة تهمد تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد

(٦) متردد في الضلال.

(٧) لم تمتلئ بعد، لم ترتوي.

وتغيّرت أحوالنا ومشى بنا
كُنَّا نُمْنِي النفسَ فيما تشتهي
السَّمْعُ والبصرُ الحديدُ تبدّلاً
لم يبقَ مني غيرُ أشلاءٍ إذا
وعذرتني إذ لم أجبك مطوّلاً
صِرْفُ الليالي نحو عيشٍ أنكدِ
واليومَ نلجأُ للمُريحِ الأفيدِ
سمعُ الأصمِّ يرى بمُقْلَةٍ أزمِدِ
أبصرتها حتماً جَزَعَتْ لمشهدي
فلقد ذوى فكري وبانَ تجلّدي

* * * * *

أما الذي كُنَّا نعيشُ لأجلِهِ
فلقد تقلّصَ وارتختُ أعصابُهُ
فكأنّما عصفت به ريحُ الهوى
حَتَّامَ بي يا دهرُ هلْ من مهلةٍ^(١)
لم يبقَ لي بين الورى من مفزع
ونحوطه برعايةٍ وتفقّدِ
وغدا لفرطِ هُزاله كالمذودِ
فرمى عصاهُ ونامَ غيرَ مُوسّدِ
يغشى الصّفاءُ بها عرينَ السَّيدِ
كلا ولا موت الشهيد يسعدي

النبطية في ١٧/٥/١٩٦٥ (ربيع ١٩٦٥)

(١) في مخطوطة ج: هدنة.

رثاء

"عُرفَ السيد نور الدين بدر الدين في بادئ الأمر بشعره الغرامي القصصي"^(١) قبل أن تقوم بينه وبين السيد جعفر الأمين علاقة انحصرت من بعد بتبادل "الرسائل" بينهما.

وهذا ما كنتُ قد اشرت إليه عندما قدّمت من على منبر المجلس الثقافي للبنان الجنوبي في النبطية شاعرنا السيد نور الدين بدر الدين في "قصائد منسية ورسائل مطوية".

قلت :

إنّ هذا النوع من الأدب، كان على صاحبه أن يبقيه في منأى عن الأسماع والأبصار خشيةً من أن يناله الأذى... الأمر الذي لم يكن معه لينجو من الملاحقة ومن غضب السلطات الزمنية والروحية على حد سواء...".

لقد فوجئت من بعد بتبادل الناس لقصيدة "رثاء" هذه على نطاق واسع فعمدت عندها إلى تدوينها في مخطوطتي (ح) التي كنت قد نسختها لنفسي في السابق من الأيام.

وقد وقفت عليها مجدداً في نسخة ديوان السيد جعفر (ج) الذي قدّم لها السيد نور الدين بما يلي :

"لحضرة أخينا السيد جعفر الأمين أبي أكرم دام ظله (وبعد)

(١) أنظر : م.س. " من دفتر الذكريات الجنوبية " ذكريات السيد جعفر.

لقد أُنذرتنا دائرة المالية بدفع المتأخر علينا من رسوم المسقفات عن سنة ١٩٦٠ وما بعدها. وكنا متأكدين من دفع هذه الرسوم في حينها. وأثناء التفتيش عن الإيصالات عثرنا بين الأوراق القديمة على ورقة شبه بالية مثبت عليها بعض الأبيات المتباعدة، منها ما اكتمل ومنها ما لم يكتمل، وإذا هي تصميم أو مشروع لقصيدة في رثاء الطيّب الذّكر...، كنا قد بدأناها ولم ندر ما كان المانع من إرسالها. وبما أنها تتضمن تعزيتكم بالفقيد فقد بادرنا منذ وجدناها إلى التنقيح والحذف والإكمال والترتيب فجاءت كما ترون مرفوعة لسيادتكم مع وافر الاحترام".

في ١٠/٧/١٩٧٠

الأسيف

نور الدين بدر الدين

ولقد كتبتُ في نسختي المار ذكرها هذا التوضيح للموضوع حيث كتبت:

... ذلك المقصود بـ "الرجل الطيّب الذّكر"، كان شغل النبطية الشاغل ومالي دنياها.

فمن أوصافه طاقية صوفية للرجال تغطي رأسه ويرتدي سترة للرجال فوق ثوب نسائي! وجوارب نسائية وقبقاباً خشبياً شامياً الصنع تسمع له من بعيد قرعاً على غرار قبقاب " غوار الطوشي " في مسرحيات دريد لحام الهزلية.

كان هذا "الرجل" يدخل البيوت دون استئذان ولا يحسب حساباً للحلال والحرام. ونظراً إلى ما كان يختزنه في صدره من أسرار غير

مذاعة، كان لا بد من أن يلاقي مصيره المحتوم والمشؤوم فتلاً
مُتَعَمِّداً على يد مَنْ يود أن تبقى الأسرار والفضائح مخفية.

وهذا شأن من شؤون تلك الطبقة الاجتماعية التي لا ترى عاراً في
العلاقات غير الشرعية شرط أن تبقى طي الكتمان.

وأرى أن أشير بهذا الصدد إلى ما تضمنته إحدى روايات الكاتب
والروائي المصري الكبير نجيب محفوظ من تصوير لحالة التفسخ التي
تسود المجتمع المصري وغيره بالطبع من المجتمعات العربية
الأخرى.

(بضاعة سوقها راجت...)^(١)

تَيَسَّمَتْ بِعَدِكَ الْآ... وَالز...
يَا هَمْزَةَ الْوَصْلِ بَيْنَ الْعَاشِقِينَ إِذَا
مَنْ لِلْعَكَارِيتِ إِنَّ لَجَّ الْغَرَامُ بِهِمْ
سِوَاكَ يَقْضِي لَهُمْ حَاجَاتِهِمْ أَمَلًا
ع... يَا خَيْرَ قَوَادِ بُعِثْتَ لَنَا
لَوْلَا كِفَاحُكَ مَا شَاعَ الْفَسَادُ وَلَا
بِضَاعَةُ سَوْقِهَا رَاجَتْ بِأَرْبَعِنَا
وَذَاعَ صَيْتُكَ فِي الْأَنْحَاءِ وَاشْتَهَرَتْ
وَيَاتَ نَادِيكَ مَهْوًى كُلِّ غَانِيَةٍ
مَا قُمْتَ يَوْمًا بِمَشْرُوعٍ لَع...
إِنَّمَا رَمَيْتَ شَبَاكَ تَبْتَغِي " قَنْصًا "
تَنْقُضُ كَالصَّقْرِ إِنْ يَلْمَخَ فَرِيستَهُ
فَتَسْتَجِيبُ لِمَا تُمْلِيهِ طَائِعَةً
تَمْشِي بِهِذِيكَ لَا تُبْذِي مُقَاوِمَةً
حَتَّى إِذَا جَاءَ مَنْ يَرْعَى الشُّرُوطَ عَلَى

وَأَقْفَرُ الْحَيِّ لَا أَنْسُ وَلَا سَمُرُ
عَزَّ الْلِقَاءُ وَشَفَّ الْوَجْدُ وَالسَّهْرُ
وَاسْتَسْلَمُوا لِلْهَوَى مِنْ بَعْدِمَا سَكَرُوا
فِي أَنْ يُصِيبَكَ مِمَّا اسْتَمَرُّوا الْعُشْرُ
مَا أَنْجَبْتُ مِثْلَكَ الْإِيَّامُ وَالْعُصْرُ
قَلَّ الْحَيَاءُ وَعَمَّ الْفَسْقُ وَالذُّعْرُ
عَلَى يَدَيْكَ وَمَاتَ الظُّهْرُ وَالْخَفَرُ
أَعْمَالُكَ الْغُرَّ يُسْتَسْقَى بِهَا الْمَطَرُ
وَكُلُّ عَرَصٍ إِلَى لُقْيَاكَ يَفْتَقِرُ
إِلَّا وَحَالَفَكَ التَّوْفِيقُ وَالظُّفَرُ
حَلَا بَعَيْنِيكَ أَوْ أَلْقَى بِهِ الْقَدَرُ
وَلَا يَعُوزُكَ مَنْقَارٌ وَلَا ظُفْرُ
كَمَا اسْتَجَابَ لِلْحَنِّ الْعَازِفِ الْوَتْرُ
رَهْنِ الْإِشَارَةِ تَدْعُوهَا فَتَأْتِمُرُ
خَيْرَ الْوُجُوهِ فَلَا حَيْفٌ وَلَا ضَرَرُ

(١) بدلاً من العنوان الموضوع لها : رثاء، رأيت أن أضع لها هذا العنوان : بضاعة سوقها راجت.

زَفَقَتْهَا لُقْمَةً طَابَتْ لِأَكْلِهَا
 رِزْقٌ بِمَوْتِكَ أَهْمِي كُلَّ غَانِيَةٍ
 أَخَذْتُ فِيهِمْ قَرَاغاً لَيْسَ يَمْلَأُهُ
 هُمْ يَنْدُبُونَكَ آمالاً مُحْطَمَةً
 مِنْ مَخْبَرٍ "جَعْفراً" عَنْ سُوءِ مَضْرِعِهِ
 يَهْدِي إِلَيْهِ تَعَاذِي كُلَّ مُعْتَرِفٍ
 بِأَلَيْتٍ كَانَ فِذِيئَتِهِ
 وَكَانَ حُظُّكَ مِنْهَا الْوَرْدُ وَالصُّدْرُ
 وَكُلُّ عَرْصٍ وَدَمْعُ الْكُلِّ مُنْحَدِرُ
 مِنْ بَعْدِ مَوْتِكَ لَا أَنْشَى وَلَا ذَكُرُ
 وَيَذْكُرُونَكَ صَيْتاً رِيحُهُ عَطِيطُ
 إِنْ لَمْ يَكُنْ جَاءَهُ عَنْ قَتْلِهِ خَبَرُ
 بِفَضْلِهِ حَيْثُ كَانَ الظِّلُّ وَالشَّمَرُ
 فَمَا يَضُرُّ إِذَا لَمْ تُنْجِبْ^(١) الْحُمُرُ



(١) في مخطوطة ج: إذا لم تُنْجِبْ.

الله جنب هذا الكون كارثة

جواباً على السيد نور الدين بدر الدين، بعث السيد جعفر بهذه

القصيدة:

صَبَحُ مُمِلٌ وَلَيْلُ كُلِّهِ ضَجَرُ
كَأَنَّمَا الْكَوْنُ لَا شَمْسَ وَلَا قَمَرُ
وَهَذِهِ الْأَرْضُ لَا رَاحَ وَلَا وَتَرُ
وَلَا عَطَاءَ لِفَكْرٍ مِنْ رَوَائِعِهِ
فَأَنَسِي الْحَسَّ مَأْسَاةَ الْوُجُودِ وَمَا
لَا رَاحَ^(١) يَنْعَمُ فِي أَحْلَامِهِ سَحَرًا
لَكِنَّمَا وَبِلَاءُ النَّاسِ أَكْثَرُهُ
مَنْ لَا تَطْيِبُ حَيَاةَ قَرَبِهِ أَبَدًا
فَأَفَقَهُ رَغَمَ نَوْرِ الشَّمْسِ فِي غَسَقِ
فَالْقَلْبُ فِي مَحَنَةٍ وَالسَّمْعُ وَالْبَصَرُ
وَلَا يُفْتَقُ أَحْلَامًا لَهُ الْقَمَرُ
وَلَا نَسِيمٌ وَلَا مَاءٌ وَلَا شَجَرُ
تَجَمَّلَ الْعَيْشُ فِيهِ وَازْدَهَتْ صُورُ
قَدْ يَبْتَلِيهِ بِهِ فِي غَفْلَةٍ قَدَرُ
وَلَا يَخَالِجُهُ فِي صَبْحِهِ حَذَرُ
يَأْتِي بِهِ مِنْهُمْ مَنْ طَبَعُهُ الضَّرُّ
وَلَا يُدَارُ لَهُ مَنْ فَسَقَهُ دُبُرُ
وَمَاؤُهُ دَائِمًا مِنْ خُبْثِهِ عَكِرُ

* * * * *

يَا مَنْ إِلَى دَوْلَةِ الْأَنْبَاطِ قَدْ نُسِبُوا
تِيهُوا بِمَنْ شَيَّدَ الْبِتْرَاءَ^(٢) وَافْتَخَرُوا
مَا كَانَ أَجْدَادَكُمْ إِلَّا عَبَاقِرَةٌ
مَدَى الزَّمَانِ شَذَا ذِكْرَاهُمْ عَطُرُ

(١) في مخطوطة ج: وراح.

(٢) عاصمة الأنباط.

في بلقع موحش لا الطير تعبره
 كم بالأزاميل من صرح لهم رفعوا
 فكان ما كان من أعجوبة حدثت
 وللمحبة في أفيائهم عبق
 وللرجاء على درب الحياة سناً
 وما أظنك يوماً كنت مُقتنعاً
 فأين أنت من الأفذاذ إن حضروا
 وقال قائلهم والتّيه ينفخه
 "الخيّل والليل والبيداء تشهد لي" (١)
 بالأمس كان بنو الأسبان لي خدماً
 واليوم سخر لي الأمريك أنفسهم
 فمن هنا خبرة تأتي وأعتدة
 كذا الخراج أعدت اليوم سيرته
 لا يُصلح الناس فوضيلاً صراط لهم (٢)
 ويوم أبعث فالجنّات لي سَكَنُ
 تلك الأصالة في الإبداع ما برحت
 إن كان قد سقط الإزميل من يديكم
 وغير الفكر مجراه فلا صعداً
 إلى قرارٍ إليه سار قبلكم
 لغو اللسان وحشو البطن همهم
 ولا يمرُّ به جنٌّ ولا بشرٌ
 وفي حشا الصخر كم بثر لهم حفروا
 فالقفر مُخضوضرٌ والعيش مزدهرٌ
 وللعادلة عينٌ دأبها السهرُ
 فلا يتيه له في سعيهم نظرٌ
 بأنَّ جدك في ما قد مضى مُضرٌ
 وراح دُرٌّ من الأفواه ينتثرُ
 وشعلة المجد في عينيه تستعرُ
 والسيف والرُّمح والقرطاس والحبر (٣)
 والروم من حشَمي والفرس والتترُ
 ورهن أمري سار الروس والمجرُ
 ومن هناك شهِّي القمح والدولرُ
 والعلاج عاد بأمرى اليوم ياتمرُ
 أنا الهزبر وأشتات الورى بقرُ
 والغير حتماً ستشوي جلدَهم سقرُ
 وإن تغير منها الشكل والأثرُ
 وغاب عن عينكم في المقلع الحجرُ
 قد ظلَّ يسمو ولكن راح ينحدرُ
 قوم نزلتم عليهم طبعهم قذرُ
 وكلُّ شغلهم في دبرهم حصروا

(١) تضمين بيت للمتنبى .

(٢) في مخطوطة ج: الشطر الثاني: فلا عمى بعد في الدنيا ولا عور. وفي رواية ثانية :

والسيف يشهد أني في الوغى نمر.

(٣) في مخطوطة ج: لا سراة لهم.

فكان لا بد من إبراز فنكم
وهل يهاب لذيد النقر في جسد
فكنتم في انسجام مع أصالتكم
أعظم بكم من كُماة في الوغياتصروا
الوغي إليه جنب هذا الكون كارثة
عكم؟ رغم أن السهم ينقصه
كل الفحول عنوا طوعاً لرغبته
وقادها ثورة حمراء لاهبة
واخضع الجسم " للتأميم " فانفتحت
وصار كل يغني ما يطيب له وفي دروب^x الهويأهل الهويانتشروا
وخاف من ظله من وجهه نضر
لكان " سخم " (٢) من طغيانه الحجر
ومن بشاعة ما لاقاه قد سخرُوا
لو حُكم العدل كانوا قبله انتحروا
وكم ليالٍ على أغتابه انتظروا
لكنه وهو ذاك الصائد الخطر
ما لم يكن منهم يُقضى له وطر
ما بين فخذه كم من مرة عبروا
ولن يفيد خداع خلفه استتروا
x الهوي أهل الهوي انتشروا

(١) شكر : لا أنسى ولا ذكر عند العامة.

(٢) من السخام أي الفحم. ويقصد هنا: الفعل الشنيع (الأسود) كما هو معروف.

لئن لم ترع للآباء ديناً

بعث الشاعر محمد فلهة بهذه القصيدة إلى السيد جعفر :

يَمِيناً بِالطُفُوفِ^(١) وَبِالْعِطَاشِ
وَبِالصَّرْحَاءِ^(٣) مِنْ فَتْيَانِ فَهْرِ^(٤)
وَبِالسَّارِينَ لَيْلاً لِلْمَصَلَى
لَئِنْ لَمْ تَرَعْ لِلآبَاءِ دِينَاً
وَلَمْ تَحْفَظْ لَشَهْرِ الصُّومِ حَقّاً
لَأَنْتَقِمَنَّ مِنْ كُلِّ السُّكَارَى
وَأَنْبَشُ مِنْ " أَبِي سَعْدَى " رُفَاتاً
وَبِالْجَدِّينَ طَهَ وَالنَّجَاشِي^(٢)
وَبِالْهَجْنَاءِ^(٥) مِنْ زَيْدِ الرِّقَاشِي^(٦)
نَبَاً بِجَنُوبِهِمْ لَيْنُ الْفِرَاشِ
تَنْزَلَ فِي الْمَتُونِ وَفِي الْحَوَاشِي
وَلَمْ تَلْبَسْ صَفِيْقاً مِنْ قِمَاشٍ
فَأَفْنِي " بَالْبَانَا " وَ " الرِّيَاشِي " ^(٧)
وَلَوْ أودوا بَعِيشِي وَالْمَعَاشِ

(١) مفردها الطف أي الشاطئ، وهنا إشارة إلى الطف (كربلاء) حيث استشهد الإمام الحسين مع آل بيته عطشى.

(٢) طه: النبي وهو جد الهاشميين والسيد جعفر من سلالتهم. والنجاشي : إمبراطور الحبشة ومنها أصل والدته السيدة جعفر. والنجاشي أيضاً : قيس بن عمرو الحارثي، شاعر يمني عاش في نجران ومكة، توفي عام ٦٦٠ هجري، وقد كان من أنصار الإمام علي بن أبي طالب في صفين (القاموس).

(٣) الأصفياء والخلص.

(٤) فهر: قبيلة هي من أصل قريشي ينتسب النبي محمد إليها.

(٥) مفردها: الهجين وهو من كان أبوه من أصل عربي وأمه من الإماء.

(٦) زيد بن حارثة من صحابة النبي.

(٧) بلaban والرياشي وأبي سعدى: أصناف من العرق اللبناني.

يَشِيبُ لِهَؤُلِهَا طِفْلٌ وَنَاشِي
تَجَمُّعٌ بَيْنَ خِيَالٍ وَمَاشِي
وَإِنْ طَبَخُوا فَدَنِيَاهُمْ "مَاشِي" (١)
تَكَدَّسَتْ "القَوَازِي" وَ"المَحَاشِي" (٢)
يَهُونُ لَدِيهِ "نَازِي" وَ "فَاشِي" (٣)
وَيُوصَدُّ دُونَهُ بِأَبِ النَّقَاشِ
خَلَاصُكَ بِالتَّجَنُّبِ وَالتَّحَاشِي
وَفِي شَقَرَاءٍ عِنْدِي أَلْفٌ وَاشِي
وَرَبَّتْ شَهْمُهُمْ "أُمُّ الْعِيَاشِ" (٤)
أَفَاعِي الصَّدْرِ يَحْمِلُهُنَّ رَاشِي (٥)
وَبِذَلِكَ مُشْتَهَاها بِالْبَلاشِ
عَلَى "أَتْبَاعِ دَارُونَ" (٦) وَ"البَواشِي" (٧)
سَرَى بِدِمَائِهِ سُمُّ الرَقَاشِ (٨)

وَأَعْلَنَهَا عَلَى "شَقَرَاءٍ" حَرْباً
سَأَبَعْتُ مِنْ رِجَالِ الدِّينِ جَيْشاً
إِذَا بُسِطَ الْخِوَانُ فَهُمْ أَسْوَدُ
فَسَائِلُ عَنْهُمْ الْجَفَنَاتُ (٩) إِمَّا
فَفِيهِمْ كُلُّ عِثْعِيتٍ (١٠) عَبِيطُ
عَلَى الظَّنِّ الْغَبِيِّ يُقِيمُ حَكماً
تَجَنَّبُ مَا اسْتَطَعَتْ لِقَاءَ جَيْشِي
وَإِنْ لَمْ تَزْعَوِ "فَالْكِي شَقَرَاءُ" (١١)
سَقَتُهُمْ "حَوْمَةٌ" (١٢) نَخْبُ الدَّنَايَا
فَإِنَّ عَدِمَ الْوَشَاءُ سَمِيعَ نُضْحِ
حَرَامٍ شَرِبُكَ الصَّهْبَاءِ سِرّاً
أَتَذْكُرُ يَوْمَ أَلْبَتِ السَّرَابَا
فَرُحْتُ تَصِيحُ صَبِيحَةَ مُسْتَمِيتٍ

- (١) اللحوم.
(٢) الجفئات : مفردا جفنة : القصعة الكبيرة (وعاء).
(٣) القوازي : بطون الخرفان محشوة بالأرز، والمحاشي : عامية، كل ما يحشى باللحم والأرز كالكوسى وورق الملفوف والدوالي. (القاموس)
(٤) يقال للفحل من المعزى، وهنا : الشاب القوي الشديد.
(٥) من النازية والفاشية الهتلرية.
(٦) آخر الدواء الكي كما يقول المثل.
(٧) القتال.
(٨) أم العياش : تلّ النفايات في شقرا.
(٩) من راش السهم.
(١٠) الفيلسوف المعروف بنظرية تطور الأجناس.
(١١) من اختلطت أجناسهم.
(١٢) الأنقى.

رجال الدين هُتَبوا من رقادِ أعدوها على عَجَلِ عَصِيٍّ
فهذا الدينُ آذَنُ بالنِلاشي "لتَهري" جلدُ غارٍ لا يُماشِي

بنت جيل في ٢٢/١٢/١٩٦٥

محمد فلحة



أركيلة الحشاش

جواب السيد جعفر:

سَفَّهْتُ كُلَّ تَعَارِكٍ وَهَرَّاشٍ^(١)
وَنَزَعْتُ مِنْ صَدْرِي الضَّمِيرَ وَدُسْتَهُ
وَتَرَكْتُ سُلَمِي الَّذِي حُمَلْتَهُ
وَانْسَقْتُ فِي قَلْبِ الْقَطِيعِ عَلَى رَضَى
وَرَزَغْتُ إِذْ "عِيَّاش" مَهْدُ طِفُولَتِي
يَا رَبَّةَ الْأَمْجَادِ أَنْتِ شَفِيعَتِي
لَا تَخْسِبِينِي قَدْ جَفَوْتُ فَطَالَمَا
هَذَا ثِمَارُ شَبِيبَتِي قَدْ عَفَتْهَا
وَأَتَيْتُ يَا عِيَّاشَ نَحْوَكِ ضَارِعاً
تَدْعُو ابْنَ "شُقْرَا" يَا "ابْنَ مَبْس" ^(٢) لِلنُّقَى
سَمِعاً "أَبَا ذَرَّ" ^(٣) الزَّمَانَ وَطَاعَةً

وعصمتُ نفسي عن عقيم نقاشٍ
ومشيتُ كالأعمى وكالمتعاشي
بالعرض ^(٤) ضدَّ منافقٍ أو واشي
جَحَشاً تُحِيطُ بِهِ أُلُوفُ جَحَاشٍ
فِي أَنْ أَكُونَ بِمَسْتَوَى "عِيَّاشٍ"
وعليكِ بَاتَ مُعَلِّقاً إِنْ عَاشِي
شَوْقاً إِلَيْكِ أَطَلْتُ بِالْإِجْهَاشِ
وَتَرَكْتُهَا تَذْوِي بِغَيْرِ حَوَاشِي
وَمَدَدْتُ فَوْقَ ثَرَاكِ فَضْلَ فَرَاشِي
مُتَوَسِّلاً بِالْعَرَبِ وَالْأَحْبَاشِ
هَذَا "بَلَال" ^(٥) فِي طَرِيقِكَ مَاشِي

(١) الهراش : سوء الخلق.

(٢) تضمين للمثل العامي : حمل سلمه بالعرض.

(٣) الشاعر محمد فلحة من " ميس الجبل " .

(٤) تعريف الشاعر وتشبيهه بالصحابي أبي ذر الغفاري.

(٥) بلال : مؤذن الرسول وخادمه وكان أسود البشرة.

فَأَقِمْ بَذَنكَ لِلْفِرَاشِ مَضْنَعاً
 إِنْ كَانَ كُنْهُ الدِّينِ بَعْضَ مَظَاهِرٍ
 لَكِنْ سَأَلْتُكَ مَا تَقُولُ بِمَا مَضَى
 إِنِّي لِأَخْجَلُ حِينَ تُذَكِّرُ كَرِيباً
 وَالْمُؤْمِنُونَ عَلَى جَدِيدِ هُدَاهُمْ
 هَلْ تَنْفَعُ الْأَقْوَالُ مِنْ مُتَفَلْسِفٍ
 لَا أَحْسَبُ الْمَاضِيَ تَغْيِيرَ سِيرِهِ
 وَالْيَوْمَ تَأْتِينَا الْعُقَاثُ شُرْعاً
 تَنْسِلُ مَا بَيْنَ الصَّنُوفِ لَعَلَّهَا
 مَنْ لَا يَقُولُ بِقَوْلِهَا هُوَ نَاكِرٌ
 أَتَرَى يَجُوزُ بَأَنْ نَظْلُ خَوَارِجاً
 قُمْ تَبْغِ أَيْضاً تَوْبَةً عَضْرِيَّةً
 لَا تَخْشَ زَحْفاً فِيهِ تَقْضِي بِاسِلاً
 يَكْفِيكَ مِنْ عُدَدِ الْقِتَالِ مَقَالَةٌ
 حَتَّى تَصِيرَ مِنَ الْمُشَارِ إِلَيْهِمْ
 وَلَمْ الْجِهَادُ بِبَذْلِ مَالٍ أَوْ دَمٍ

وَابْنِ بِرَأْسِكَ مَعْمَلاً لِلشَّاشِ
 وَالْعَبْقَرِيَّةُ فِيهِ مِتْرَ قِمَاشٍ^(١)
 مَنْ فَعَلَ آثَامَ وَمَنْ إِفْحَاشٍ^(٢)
 مَنْ أَبْرِيَاءَ مُسْلَبِينَ عِطَاشٍ
 مَا بَيْنَ أَكْلِ رَشْوَةٍ أَوْ رَاشِي
 إِنْ لَمْ يَكُنْ فِي الْحَقِّ بِالْبَطَّاشِ
 بَلْ زَيْدٌ فَوْقَ الطِّينِ بَعْضُ رَشَاشٍ^(٣)
 وَكَأَنَّهَا سَرَبٌ مِنَ الْأَحْنَاشِ^(٤)
 تَبْنِي لَهَا عُشّاً مِنَ الْأَعْشَاشِ
 لِلْعَبْقَرِيَّةِ أَوْ عَمِيلٍ فَاشِي
 وَمَحَلٌّ حَقْدٍ عِنْدَهَا نَهَّاشٍ
 وَتَعَالِ نَتَّبِعْ رُكْبَهَا وَنَمَاشِي
 بِقَذِيفَةٍ مِنْ مَدْفَعِ رَشَاشٍ
 وَقَلِيلُ حَذَلَةٍ وَبَعْضُ هَوَاشٍ^(٥)
 وَتُشَالُ فَوْقَ مَنَاقِبِ الْأَوْبَاشِ^(٦)
 وَجِهَادُ غَيْرِكَ جَاءَهُ "بِبَلَّاشٍ"^(٧)

-
- (١) متر قماش: يقصد العمامة وهي علامة رجل الدين.
 (٢) القبيح من الفعل والقول ومنه: الفحشاء.
 (٣) تضمين للمثل: زاد الطين بلة.
 (٤) الأحناش: مفردا الحنش، نوع من الحيات.
 (٥) الهواش للكلب: النباح (عامية).
 (٦) الأوباش: سفلة القوم.
 (٧) أي مجاناً: عامية، بلا شيء أو مقابل لا شيء.

فغدا مُشيراً غازياً مع أنه بالأمس كان أقل من "أونباشي" (١)

* * * * *

شُبْنَا وما زلْنَا نَعُدُّ عَجَائِباً ونرى صُفوفَ ثعالِبٍ ومواشي
مما سمعتُ وما رأيتُ لديهم كم شاقني أن لا أكونَ بناشي
ولكم أسفتُ لجعل نفسي والدأ يا ليتني من قبل كنتُ "طواشي" (٢)
ماذا يشوقُ من الحياةِ وحلوها كالسَمِّ ينفثُهُ فمُ الرِّقَاشِ
فإذا رَغِبْتَ بـ "بطحة" ومحاشي وصَبَاكَ (٣) فاخر منزل ورياشي
فَدَعِ المواعِظَ يا "ابن فلحة" جَانِباً ما فَازَ في الدنيا سوى الغَشَّاشِ
وإذا أَرَدْتَ الزُّهْدَ فيها مُخلصاً فَطريقُهُ أركيلةُ الحَشَّاشِ

شُقرا في ١٩٦٥/١٢/٣١



(١) أونباشي : رتبة عسكرية (تركية).

(٢) طواشي : الخصي، (فارسية).

(٣) صباك : رغبتُ أو كلفتُ، والبطحة : زجاجة عرق مسطحة.

فرخ البط عوَّام

قصيدة أرسلها إلى الشاعر محمد فلحة.

إليك أخا المفاجر والمعالي
أتيتُ اليومَ أرجو منك عونا
ومن مثل الهمام "أبي وحيد"^(١)
فتى أجداده كانوا شُموساً
وقد ورث المكارم عن نزار
فكان كما يليقُ به أميناً
وفرخُ البط عوَّام^(٢) ويمضي
ففيه عزاً وحقٌ لك التباهي
فما في الكون من يعلوك أصلاً
كبارُ الناس في شرقٍ وغربٍ
إذا قيسوا بمجدك لم يكونوا
وهذي الأرض من برٍّ وبخرٍ
وليث الغاب في ساح النُزالِ
ليحسنَ بعد سوء الحال حالي
لإعطاء النّوال لدى السّؤالِ
ومفخرة القرون بلا جدالٍ
وعن قحطان^(٣) مأثور الفعالي
على إرث كمكنون اللّالي
سليلُ النّبل في إثر الأوالي
بعم ماجدٍ وكريم خالٍ
فأصلك شامخٌ صعبُ المنالِ
ومن أقصى الجنوب إلى الشمالِ
لدى عليّاك إلا كالنّمالِ
وما تحويه من شُمّ الجبالِ

(١) أبو وحيد : الشاعر محمد فلحة.

(٢) نزار وقحطان : قبائل عربية.

(٣) مثل معروف : فرخ البط عوَّام.

تَضْبِقُ لَدَى طَمُوحِكَ حَيْثُ تَبْدُو لَعِينِكَ شَبَهُ حَبَّةٍ بَرْتَقَالٍ

فَدَغَ مَنْ يَدْعِي أَنَّ الْمَعَالِي
وَقَدْ ضَلَّ السَّبِيلَ فَرَاخَ يَدْعُو
يَقُولُ وَقَوْلُهُ لِأَشَدَّ وَقَعًا
"أَلَا حَرٌّ يَتَوَقُّ إِلَى الْكَمَالِ
يُزِيلُ غَشَاوَةً عَنْ نَاضِرِيهِ
لِيُكْشَفَ عَنْ حَقِيقَةِ مَا يَرَاهُ
وَقَدْ صَاغَتْهُ فِظْنَةُ عِبْقَرِيٍّ
وَأَوَّلَتْهُ سَمَاحَةٌ أَرِيحِيٍّ
نَهَابَةً مَا تَتَوَقُّ إِلَيْهِ نَفْسٌ
وَيَمْنَحُنَا إِلَهُ نَهْيٌ وَحَسًّا
وَيُولِينَا الْجَمِيلَ فَيُصْطَفِينَا
فَنَقْعِدُ عَنْ تَذَوُّقِ مَا حَبَانَا
كَأَنَّ لَنَا عَيُونََ مَنْ رُجَا
نَرَى عَيْشَ التَّلَابُطِ خَيْرَ عَيْشٍ
وَلَيْلٍ بَثُّهُ سَهْرَانٍ مَضْنَى
وَغَيْرِي غَارِقٌ فِي بَحْرِ نَوْمٍ
تَبَدَّتْ فِيهِ نَفْسِي شَبَهُ لَيْثٍ
تَقُولُ وَقَوْلُهَا جَمْرٌ تَلْظَى

بَعْلِمٍ أَوْ بِذَوْقٍ أَوْ بِمَالٍ
لِفِكْرَتِهِ بِمَكْرٍ وَاحْتِيَالٍ
عَلَى الْأَمْجَادِ مِنْ وَقَعِ النَّصَالِ
وَيَعْجَبُ بِالْحَقِيقَةِ وَالْجَمَالِ
وَيَرْفَعُ عَنْهُمَا حُجْبَ الضَّلَالِ
لِهَذَا الْكَوْنِ مِنْ آيِ الْجَلَالِ
سَلِيمِ الذَّوْقِ فَتَّانِ الْخِصَالِ
سَخِيٍّ الْكَفِّ فَيَّاضِ النَّوَالِ
وَمَا يَبْدُو لِمَخْلُوقٍ بِبَالٍ
وَيُوسِعُ فِي التَّأَمُّلِ وَالْخِيَالِ
وَيُنْزِلُنَا بِمَنْزِلَةِ الْعِيَالِ
وَمَا أَضْفَاهُ مِنْ نَعَمِ غَوَالٍ
وَأَفْنَدُهُ كَأَفْنَدَةِ الْبَغَالِ
وَأَشْهَى الزَّادِ مَا حَوَتْ الْمَخَالِي^(١)
كَأَنِّي فِي لَظَى دَاءٍ عُضَالٍ
وَفِي إِسْبَانِيَا يَبْنِي الْعِلَالِي^(٢)
تَوَثَّبُ لَانْقِضَاضٍ بَانْفِعَالٍ
وَمِثْلُ الْقَوْسِ يَقْذِفُ بِالنَّبَالِ

(١) مفردهما مخللة، تعلق في رقبة الحيوان ممتلئة بالتبن والشعير.

(٢) مثل.

وعن دنيا التطلع في انعزال
 كأني مجرم رهن اعتقال
 ففي حل تراها وارتحال
 وصدُر الدار في كل احتفال
 وكانت والمروءة في اقتنال
 إذا أخذت بقليل أو بقال
 وتشر ما انطوى فوق الجبال
 وتبقى النار دوماً في اشتعال
 وتكشف عن غبائي واختبالي
 أقيم بلا حراك كالشوال^(٢)
 مدار البحث في إحدى الليالي
 ودار لأجله ضرب النعال
 وأبعد ما استطعت عن الجدال
 أفكر في الحياصة والجلال^(٤)

غلام تعيش في ظل انزواء
 وتبني لصدر شبه سجن
 وحولك عصبه ملئت نشاطاً
 لها في كل عرس خير قرص^(١)
 إذا ما فاتها فعل الخير
 لبفصر عن مداها كل فحل
 فلا تبقي على سر غطاء
 ونمضي النفس في لوم مرير
 تؤنّبني وتمعن في عتابي
 وتعجب كيف أني بين قومي
 فلوقام الجدال وكان جحش
 وكل يدعي وصلاً بليلي^(٣)
 عن البحث الجليل أصم أذني
 وأتركهم وجحشهم وأمضي

* * * * *

بشكواها لضعفي وانحلالي
 "لفضلت النساء على الرجال"^(٥)
 فذا صوت يُجلجل في الأعالي

فحق إذن لنفسي أن تُغالي
 فلو كان الرجال على مثالي
 وقد فات الأوان لرتقي فثقي

(١) من الأمثال الشعبية.

(٢) الشوال : كيس مملوء بالحنطة أو ما شابه.

(٣) تضمين للمثل المعروف.

(٤) الحياصة والجلال: ما تكسى به ظهور دواب الركوب.

(٥) عجز من بيت شعر للمتنبي.

"تودع من ظلال عرار نجد
فَيَا مَوْلَايَ لَا تَأْبَهُ لِدَسٍ
وَلَا يَشْغُلُ فِدَيْتُكَ مِنْكَ بِالْأُ
وَلَقُّنْهُ بِذَلِكَ خَيْرَ دَرَسٍ
فَمَنْ طَلَبَ الْعَلَى قَامَ اللَّيَالِي^(٢)
وَيَبْقَى الْحَقُّ لَا يُعَلَى عَلَيْهِ^(٣)
فَمَا بَعْدَ الْعَشِيَّةِ مِنْ ظِلَالٍ"^(١)
وَلَا تَعْنَى بِأَقْوَالٍ لِقَالِي
وَلَكِنْ بُلْ عَلَيْهِ وَلَا تُبَالِي
بِهِ يُغْنِيكَ عَنِ الْفِي مَقَالٍ
وَبِالْأَدْوَارِ تَكْتَسِبُ الْمَعَالِي
وَتَكْفِي الْمُؤْمِنِينَ عَنَا الْقِتَالِ^(٤)

وَيَا مَنْ زُقَّ حَبُّ الْمَجْدِ زُقًّا
أَنْلَنِي بَعْضَ مَا فِي الْكَأْسِ مِمَّا
عُصَارَةً مَا جَنَاهُ بِقَوْلِ شَعْرِ
فَبَاتِي مِنْذَ أَعْوَامٍ أَغْنَى
تَعَبٌ وَلَا تَخَافُ سَدَادَ قَلْبٍ
فَتَضْخَمُ عِزَّةً وَإِبَاءَ نَفْسٍ
وَتَعْلَمُ أَنَّنِي مَا بَيْنَ قَوْمٍ
"إِذْ بَلَغَ الْفَطَامُ لِنَاصِبِي"^(٥)
وَلِنْ يَمْشِي فَنَجْمٌ فِي سَمَاءٍ
فَأُولَعَ بِالتَّشَامُخِ وَالتَّعَالِي
تُعَاطِيهِ مِنَ الْفَخْرِ الزَّلَالِ
وَأُورِثَهُ أَبُو زَيْدٍ الْهَلَالِي
وَأَنْتَ بَعْبٌ كَأْسُكَ فِي اشْتِغَالِ
وَلَا تَخْشَى التَّوَرُّمَ فِي الطَّحَالِ
وَتُبْقِيَنِي بِقُرْبِكَ فِي هِزَالِ
عِرَاضٍ مِنْ مَنَاقِبِهِمْ طَوَالِ
رَأَيْتَ عَلَيْهِ هَيْبَةً مَارْشَالِ
وَكَالْغَنْدُولِ فِي عَرْضِ الْقِنَالِ^(٦)

(١) (تودع من شميم عرار ونجد فما بعد العشية من عرار) بيت لمجنون ليلي.

أنظر: الديوان، جمعه أبو بكر الوالبي.

(٢) من طلب العلى سهر الليالي (مثل).

(٣) الحق يعلو ولا يعلى عليه (قول ماثور).

(٤) وكفى المؤمنين شر القتال (قرآن).

(٥) شطر في معلقة عمرو بن كلثوم:

إذا بلغ الفطام لناصربي تخر له الجبابر ساجدين

(٦) من قصيدة غناها الموسيقار محمد عبد الوهاب، والغندول: الموكب.

وإنَّ حُجْمَ القضاءِ ولم تُسارع
تَمَطَّى ثم أَرْخَاهَا مَرِيئاً
وإنَّ يَنْطِقُ فما أحلاه لحناً
وإنَّ يَضْحَكُ فيا دُنْيَا أَطْلِي
جِلَالٌ فِي دِلَالٍ فِي جَمَالٍ
وَحَقٌّ لَهُ بَأَنَّ يُدْعَى افْتِخَاراً
إِلَيْهِ الْأُمُّ مِنْ ضَيْقِ الْمَجَالِ
فَتَحَسُّهَا " كَرِيمَ الْأَيْدِيَالِ " (١)
وَأَعْظَمَ بِالنَّشِيدِ " النَّاسِيُونَالِ " (٢)
فَذِي أَجْوَاءَ عِيدِ الْكَرْنِفَالِ
وَيُورِكُ بِالصَّبِيِّ ابْنِ الْحَلَالِ
بَغَازٍ أَوْ جِهَادٍ أَوْ نَضَالِ

* * * * *

وَمَنْ لَمْ يَبْلُغِ الْعَلِيَا فَتِيّاً
وَمَنْ لَمْ يَنْمُ فِيهِ كَبْرِيّاً
فَلَا يَرْجُو وَقَدْ خَارَتْ قَوَاهُ
وَذَا شَهْرُ الصِّيَامِ وَقَدْ تَدَانَتْ
فَلَا تَتْرَكْهُ يَمْضِي دُونَ بَذَلٍ
فَمَا الْحَرَمَانُ مِنْ أَكْلٍ وَشُرْبٍ
بِمَضْيَعَةٍ وَلَكِنْ جَاءَ دَرْساً
فَادْرُكْنِي وَبَادِرْ لَانْتِشَالِي
وَأَشْرِكْنِي بِعَزِّكَ بَعْضَ وَقْتٍ
فَتُغْنِمَ فَوْقَ أَجْرِ الصَّوْمِ أَجْراً
فَلَيْسَ يَنَالُهَا وَالْجِسْمُ بِالِ
كَأْتَرَابٍ لَهُ لَحْمُ الْجَمَالِ
بُلُوغَ الْمَجْدِ مِنْ لَحْمِ السَّخَالِ (٣)
أَوْ آخِرُهُ وَأَذَنُ بِالزَّوَالِ
لِمُسْتَعِطٍ شَكَا مِنْ سَوْءِ حَالِ
وَمَا يَجْرِي قُبَيْلَ الْاِغْتِسَالِ (٤)
لِمَنْ نَعَمُوا بِجَاءٍ أَوْ بِمَالٍ
وَسَارِغٌ فِي مَسِيرِكَ كَالْغَزَالِ
وَأَفْلَتَنِي بِجُودِكَ مِنْ عِقَالِي
وَتَخَلَّدَ فِي جَنَائِنِ ذِي الْجَلَالِ

جعفر الأمين

شقرا في ١٩٦٧/١/٢

(١) من مستحضرات التجميل.

(٢) النشيد الأممي.

(٣) مفردها سخلة، ولد الشاة.

(٤) أي الجُماع.

— جواب —

الأخ الفاضل حفظه الله ومن كل سوء وقاه

وبعد.. وردتني آياتك البينات في شهر التوبة والبركات، فأغتنني
عن الصوم والصلاة، قرنتها ترتيل المؤمن الخاشع يرجو ثواب
المبدع الصانع، فثبتُ إلى رشدي أستجمع ما تفرَّق من الشتات
فكانت هذه الأيات:

كلانا يشتكي عنت الليالي	فحالك في حبالها كحالي
على آتي إذا غُمِزْتُ فَنَاتِي	جهلتُ فكنْتُ أجهل من رثالي ^(١)
فلا أشكو وهل تُجدي شكاةً	وهل يأسو شجِّي القلب خالٍ

* * * * *

سَلِيلَ الْأَكْرَمِينَ قَدْ تَكَ نَفْسِي	ودُونكَ مَا عَلَا: وُلْدِي وَمَالِي
لَأَنْتَ بِأَفْقَهَا قَمَرٌ تَجَلَّى	يُضِيءُ سَنَاهُ فِي حُلْكِ اللَّيَالِي
عَهْدُكَ إِنْ غَلَوْا فِي مَذْحِ قَوْمٍ	ضَنِيناً لَا تَجُور وَلَا تُغَالِي
أَتَمْدُحُنِي وَتَحْسَبُ بِي خَبَالاً	وَقَاكَ اللَّهُ غَاشِيَةَ الْخُبَالِ
وَأَوْلَاكَ الْحَجَى مِنْ بَعْدِ غِيٍّ	وَجَنَّبَكَ الْمَزِيدَ مِنَ الضَّلَالِ

(١) ولد النعام (مثل سائر).

وطابت بالروابي الخضر شقرا
ولا غلّت على خصبٍ شعيراً
تميس بقدّ حاليةٍ وحالي
مرابعها ولا ملئت مخالي

أبا المسك^(١) المفدى منك يُرجى
دخرتك للجليل أقلني إني
أقلني من عُشاري ليس دائي
عُشاري من مقال السوء يُزجي
فلا تنل ودادي إنَّ عهدي
أعينك^(٢) والكياسة منك طبع
بأي مؤثّل^(٣) كانت جدودي
أجعفر والحقيقة لا تُحابي
أهاجثك الخؤولة^(٤) وثقتها
فبعثرت القيور بساكنيها
إذا فخر الرجال بمجد ماضٍ
فبأومعشراً جحدوا عُلاه
ودغ مذحي وأجدادي ومجدي

فتبت المسك والدّر الغوالي
على جمر الغضى حرّان صالي
إذا دويت ؛ بالداء الغضال
ومن لعب اللثام على الجبال
يقيم على ودائك غير سأل
من التمويه أو خطر المقال
أسوداً في الطراد وفي النزال
ولا تحنو على عمّ وخال
يجدي منكم بيضُ الفعّال
وأقلقت الأواخر والأوالي
فجدّ أبيك مَفخرة الرجال
وغال بالمأثر والخصال
ولا تأنّ على حسنات ألي

* * * * *

(١) لقب أطلقه المتنبي على كافور الأخشبي: أبا المسك أرجو منك نصراً على العدا...

(٢) أدعو لك بالحفظ.

(٣) الأصالة.

(٤) تعريض من غير تصريح: يريد لأن يعيره بأصل الوالدة الحبشي، انظروا: "سيرة حياة وذكرات"، سبق ذكرها.

سألتك بالغرار غرار نجد
وبالصحراء ماجت بالسرايا
عرا براض جابحها كماء
مُسومة يحار العقل فيها
وبالفتح المظفر أثلته
بأيدي من نزار ما تراخت
سألتك أن تزيد لمستزيد
ألا حدثت عن آت يرجي
وبالنفحات من شخ وضال^(١)
يضيق بجردتها رخب المجال
تهاوى عندهم شم الجبال
فسابق مسرج منها كنالي
سيوف الهند والسمر العوالي
عن الجلى بساحات القتال
فلا خطرث لمخلوق ببال
سئنا تالد العُصر الخوالي

* * * * *

قريبك شاقني وأثار وجدي
أتى كالطيف أعجله صباح
فأوليناه غالية وعطراً
تقباً ظلها فزمت وجئت
وذلت القطوف فكان أشهى
أتاني هادياً والصوم ولّى
فيا لك صائداً ما راش سهماً
صلاة الظهر رتلها صباحاً
أعدت إلي أيام ابن برد
ومرّ بخاطري مرّ الخيال
عن اللّقا فهم بالارتحال
وأنزلناه وارفة الظلال
وراحت بين دلى واختيال
جنه من جنى السحر الحلال
رعاه الله من هاد مثالي
ولاً ماز القسي^(٢) من النبال
وأذن بالضحي دون الزوال
وجلداً بالسياط وبالنعال^(٣)

(١) الضال: الشيء المفقود.

(٢) القسي: الرمح.

(٣) إشارة إلى ما نال الشاعر العباسي بشار بن برد من جلد بالسياط حتى الموت على يد الخليفة المهدي.

أنظر: الأغاني - طبعة دار الفكر - المجلد ١ - الجزء ٣ - صفحة ٦٨ وما يليها.

أَمَنْتَ هَرَاوَةَ الْمَهْدِيِّ فَاسْلَمَ
فَمَا حَقَّرَ الرِّجَالَ إِذَا أَسَاوَا
يُؤَرْقِنِي الْأَبْيُّ يُسَامُ خَسَفًا
بِجِلْدِكَ وَاجْتَنِبْ سُوءَ التَّكَالِ
كُصِفَ بِالْأَكْفِ عَلَى الْقَذَالِ^(١)
وَيَلْقَى الْعَنْتَ مِنْ وَغْدٍ مَذَالٍ

رَجَوْتُكَ لَا تُطْلُ هَذِي وَنُصْحِي
وَمَا أَنْتَ الْمَبْرُءُ مِنْ ضَلَالٍ
يَقُولُ الْمَرْجِفُونَ وَسَاءَ زَعَمٌ
" تَمَادَى جَعْفَرٌ وَعَصَى أَبَاهُ
إِذَا كُشِفَ الْغَطَاءُ ازْدَادَ كُفْرًا
حَرَامُ الزَّادِ يُظْعَمُهُ مَرِيئًا
إِلَى هَذَا تَنَاهَى الْقَوْمُ فَاضْبِرْ
فَمَا آتَ لِهَذَا الْحَالِ حَالِي
وَلَا جُنُبْتَ مِنْ قِيلٍ وَقَالٍ
أَشَاعُوا بَيْنَ قَالِيَةٍ وَقَالِي
وَكَذَّبَ بِالْمَعَادِ وَبِالْمَالِ
وَأَمَعْنَ بِالْخُصُومَةِ وَالْجِدَالِ
فَإِنْ أَعْيَاهُ بَالَ عَلَى الْحَلَالِ
و"تَمْسُخُ"^(٢) إِنْ رُمِيتَ وَلَا تَبَالٍ

محمد فلحة / ٢١ / ١ / ١٩٦٧



- (١) القذال : الرقبة . في الضرب على الرقبة تحقير للمرء.
(٢) من التمساح، الحيوان الذي لا يستطيع أحد أن يلحق به الأذى لقساوة جلده كما هو معروف.

عند العقدة يسبح النجار

في القلب من ذكرى الأحبة نارُ
تمضي بي الأيام وهي مُقيمةُ
قُدسيّة ما شابَ زيتَ سراجها
من سلسل الوجدان صفوُ عصيره
أوقدته ناراً على ومضاتها
وتعودُ بي عبْرُ الزمان إلى حمى
نضرت^(١) جوانبه بأوجه فتية
لأنوا فلم تفسُ الحياةُ عليهم
ذكرى الأحبة لا عدمتك موقلاً
ما جنّ ليلٌ أو أطلّ نهارُ
ويشقّني الإعياء وهو أوارُ
مينٌ ولم يسقط عليه غبارُ
ومن المروءة ريحُ المغطارُ
تتراقصُ الأحلامُ والأفكارُ
كأس الهنا والصفو فيه يُدارُ
فكأنهم لدروبه أزهارُ
وعنت لهم بصروفها الأقدارُ
إن ساء دارٌ أو تخابث جارُ

* * * * *

عفواً أبا الخطّاب إن أنا شاقني
وأتيث من منفاي أبعثُ زفرةً
فتقبّل النجوى ولا تَكُ لحيّاً^(٢)
وغفلتُ عما أنت فيه من العنا
مع من أحبُّ على البعاد حوارُ
من مُهجتي وكأنّها إعصارُ
إن ساء منّي الوردُ والأصدارُ
وبما تنوءُ بحمله وتحارُ

(١) نضرت : حسنت.

(٢) لحيّاً : لائماً.

وَرَمَيْتُ اثْقَالِي عَلَيْكَ لِحْمَلِهَا
فَاضْبِرْ أَخَا أَيُّوبَ كَالسَّبْعِ الَّذِي
وَأَبَى التَّهَرُّبَ مِنْ قَضَاءِ نَازِلٍ
وَتَحْمِلِ الْبَلْوَى وَلَوْ مِنْ جِمْلِهَا
فَجَنَى الْخُلُودَ لَذَكَرَهُ بِأَبَائِهِ
فَلَنَبْقَ قُطْبِي نَخْوَةً وَحَمِيَّةً
أَيَكُونُ سَبْعُ الْغَابِ أَوْفَى ذِمَّةً
لَا كُنْتُ مِنْ عَلِيَا نَزَارٍ إِنْ أَنَا
وَأَعَزُّ مِنِّي عِنْدَ ذَلِكَ أَرْنَبُ
هَآ إِنَّا نَوَارًا مَضَّتْ أَيَّامُهُ
أَمْ كَانَ أَيَّارًا وَتَحْتَ سِيَاطِهِ
أَمَّا أَنَا فَشُهُورٌ عَامِي دَائِمًا
لَكِنِّي كَالْبَثْرِ صَرْتُ وَكَمْ عَلَى
يَا شَهْرَ نَوَارٍ وَثَغْرُكَ بِاسْمٍ
وَخَدِينُكَ النَّهْرُ الْمَصْفُوقُ مَآوُهُ
لَا لَأَمَسَتْ قَدَمَاكَ أَرْضًا أَهْلُهَا
مَا أَنْتَ إِلَّا نَفْحَةٌ مِنْ جَنَّةٍ
وَعَلَى ذُرَى جَبَلٍ (الرُّوَيْسِ) ^(٣) وَسَفْحِهِ
فَهَنَّاكَ أَهْلُ الدِّينِ وَالْدُنْيَا مَعًا
وَتَهِيجُ أَفئِدَةً لَهُمْ مِنْ رَوْعَةٍ

(١) الغار : المغارة، الكهف.

(٢) شجر طيب الرائحة.

(٣) تلة تشرف على مدينة النبطية.

وَيَسُودُ رَوْحُهُمُ التَّصَوُّفُ فَالدُّنَا
 فَعَلَى الْمَآذِنِ وَالْجَلَالِ يُلْفُهَا
 وَعَلَى مَنَابِعِ (شَفْحَةٍ) ^(١) وَرِيَاضِهَا
 فَاجْعَلْ أَيَا نَوَّارِ دَرْبِكَ دَائِمًا
 وَعَلَى أَبِي الْخَطَّابِ مُرًّا فَإِنَّهُ
 يَا مَنْ تَغْنَى بِالْجَمَالِ وَبِالْهَوَى
 أَطْلَقْتَ لِلْقَلْبِ الْجَمُوحِ عِنَانَهُ
 الْحَقُّ وَالذَّوْقُ السَّلِيمُ كِلَاهُمَا
 فَأَعَدْتَ لِابْنِ أَبِي رِبِيعَةٍ ^(٢) ذِكْرَهُ
 فِي كُلِّ رَوْضٍ نَاضِرٍ لَكَ وَقْفَةً
 لَمْ تَدْخُلِ الشَّحْنَاءُ قَلْبَكَ مَرَّةً
 لَوْ كَانَ كُلُّ النَّاسِ مِثْلَكَ رَقَّةً
 لَكُنْهُمْ ظَنُّوا الْحَيَاةَ تَنَاطِحًا
 فَإِلَى الَّذِي جَعَلَ الْقُرُونِ سِلَاحَهُ
 لَا بَدْءَ يَوْمًا مِنْ لِقَاءِ غَضَنْفَرٍ ^(٣)
 وَلَرُبُّ يُسْرِ قَدْ تَلِيَهُ عَقْدَةٌ

بَصَفًا التَّجَلِّيَ وَالصَّفَاءَ تَنَازَرُ
 تَتَرَدَّدُ الصَّلَوَاتُ وَالْأَذْكَارُ
 الرِّقْصُ وَالصَّهْبَاءُ وَالْمَزْمَارُ
 فِي أَرْضِهِمْ إِنَّ الْكَرِيمَ يُزَارُ
 هُوَ صُورَةٌ وَلَهَا الْجَمِيعُ إِطَارُ
 وَكَأَنَّهُ بَيْنَ الْأَنَامِ هَزَارُ
 فَجَرَى وَضَاقَ بِجَزِيهِ الْمَضْمَارُ
 هَدَفَ لَهُ فِي سَغِيهِ وَشِعَارُ
 وَعَلَى خُطَاهُ حَلَا لَكَ التَّشْيَارُ
 وَوَرَاءَ كُلِّ مَلِيحَةٍ مَشْوَارُ
 أَوْ خَالَطْتَ أَفْكَارَكَ الْأَوْطَارُ ^(٤)
 لَأَسْتَوْصِلْتَ مِنْ أَرْضِنَا الْأَوْزَارُ
 مِنْ سُخْفِهِمْ وَكَأَنَّهُمْ أَبْقَارُ
 وَبِهَا يَظُنُّ بِأَنَّهُ مِغْوَارُ
 مِنْهُ تُمَزَّقُ جُلْدُهُ الْأَظْفَارُ
 كَأَدَاءٍ يَسْلُحُ عِنْدَهَا النِّجَارُ ^(٥)

* * * * *

مَنْ لِي إِذَا جَاءَ الْمَخَاضُ وَهَدَّنِي طَلَقَ يُمَزَّقُ مُهْجَتِي وَزُحَارُ

(١) نبع قرب سهل المبلنة شرق بلدة كفررمان.

(٢) الشاعر عمر بن أبي ربيعة.

(٣) مفردتها: وطر أي البقية أو الغرض.

(٤) الأسد.

(٥) تضمين لمثل شعبي معروف.

وَأَزْدْتُ إِسْقَاطَ الْجَنِينِ وَوَزَنُهُ
وَأَنَا الْوَحِيدُ كَمَرِيمٍ فِي غَارِهَا
بِئْسَ الْقِيَاسُ وَهَلْ يُقَاسُ بِدُرَّةٍ
وَهَلِ الْهَدِيلُ^(١) مِنَ الْحَمَامِ مَعَ الضَّحَى
وَهِيَ الَّتِي عَظَّمَ اسْمُهَا مِنْ رُوحِهِ
وَتَكْفَّلَ الْمَوْلُودَ يَوْسُفَ يَعْدُ ذَا
أَمَّا أَنَا فَقَدْ افْتُحِمْتُ فَإِنَّمَا
جَعَلُوا اللِّسَانَ إِلَى الْفُسُوقِ سَلَاخَهُمْ
وَسَقَوْهُ مِنْ لُؤْمِ الْقُلُوبِ وَخُبَيْثِهَا
وَتَحَوَّلَتْ مِسْخًا يُقَرَّحُ فِي الْحِشَا
يَنْتَابُنِي الْغَثِيَانُ عِنْدَ حِرَاكِهِ
تَأْبَى الْكِرَامَةُ أَنْ تُصَيَّرَ كَنَةً
تَلْدُ الْمَسُوحَ عَلَى غَرَارِ نَفُوسِهِمْ
فَلَهَا إِذَا أَمَسَتْ ضَرَاوَةُ لَبْوَةٍ
أَسْقَطَتْهُ غَضَبًا وَرُحْتُ مُقْطَعًا
فَتَنَفَّسَ الصَّعْدَاءُ قَلْبِي رَاحَةً
وَجَمَعْتُ أَشْلَاءَ السَّقِيطِ لِحَرْقِهَا
خُذْهَا إِلَيْكَ لَكِي تَكُونَ وَدِيعَةً
فَلَيْتَ بَعْدْتُ عَنْ الْقِيَاسِ بِمَرِيمٍ

طُنُّ وَطُولُ قَذَالِهِ أَشْبَارُ
لَا مِنْ مُجِيرٍ يُرْتَجَى فَيُجَارُ
بَيْضَاءُ هَذَا الْفَحْمُ وَالشُّخْتَارُ
يَرْقَى إِلَيْهِ فِي الصَّفَاءِ خُورًا^(٢)
حَمَلْتُ وَرَافَقَ وَضَعَهَا الْإِيَّارُ
وَمَشَى عَلَى خُطَوَاتِهِ الْأَحْبَارُ
أَبْطَالِي الْأَوْغَادِ وَالْفُجَّارُ
وَعَلَى عَفَافِ الْأَبْرِيَاءِ أَغَارُوا
فَتَحَلَّبْتُ مِنْ حَدِّهِ الْأَقْدَارُ
فَلَهُ بِذَلِكَ لَا يَقَرُّ قَرَارُ
وَيُصِيبُنِي فِي الرَّأْسِ مِنْهُ دُورُ
أَعْمَامُهَا الْفَسَاقُ وَالْعُهَّارُ
نَتْنُ الْقَذَارَةِ نَسْجُهَا وَالْعَارُ
بَذْلُ الْفِدَاءِ طَرِيقُهَا وَالْثَارُ
أَوْصَالُهُ وَكَأَنَّنِي الْمُنْشَارُ
وَتَأَلَّقْتُ فِي سَاحَةِ الْأَنْوَارِ
فَرَحًا فَكَانَتْ هَذِهِ الْأَشْعَارُ
وَلَسَوْفَ يُسْعِدُهَا لَدَيْكَ جَوَارُ
فَلَأَنْتَ حَقًّا يَوْسُفُ النُّجَّارُ

شُقرا في ١٩٦٧/٥/٣١

(١) صوت الحمام.

(٢) صوت البقرة.

ويلدُ بين كرومكم مشوار

كتب السيد نور الدين لهذه القصيدة المقدمة التالية :
... ورغم أنَّ الوقت الذي وردتني فيه قصيدة السيد جعفر لا
يساعد على التفكير بالنظر لتوقُّع نشوب الحرب بيننا وبين إسرائيل،
ورغم أنَّ وضعي الصحي المتقلِّب لا يُمكنني من الانصراف إلى مثل
هذه الأمور، فقد أخذتُ أغتم بعضاً من فُرص الراحة وأنظِّم ما تيسَّر
حتى كان هذا الجواب.

لَا النَّايُ يُشْجِينِي وَلَا الْمِزْمَارُ	أَوْ يَسْتَبِينِي صَبْوَةٌ وَعُقَّارُ
دَهَبَ الزَّمَانُ بِجِدَّتِي وَتَعَادَلَتْ	فِي نَاطِرِي الْأَصْبَاحُ وَالْأَسْحَارُ
لَا تَزْدَهِينِي مِنْ دُنَايِ مَبَاهِجُ	تَهْفُو لَهَا مِنْ دُونِي الْأَبْصَارُ
مَا لَذَّ لِي يَوْمًا شَبَاطٌ بِثَلْجِهِ	أَوْ رَاقَنِي بِوَرُودِهِ أَيْارُ
تَحَلَوُ الْحَيَاةُ لِمَنْ صَفَتْ أَيَّامُهُ	وَتَسِيرُ مَعَ رَغَبَاتِهِ الْأَقْدَارُ
لَمْ يَبْقَ لِي لِلْعَيْشِ إِلَّا حَفْنَةٌ	مِنْ ذَكْرِيَّاتٍ صَانَهَا التَّذْكَارُ
تَضْبُو لَهَا نَفْسِي عَلَى رَغْمِ النَّوَى	وَيَشُوقُنِي مِنْهَا إِلَيْكَ حَوَارُ
يَا جَعْفَ ^(١) عَهْدُكَ لَا يُزَايِلُ خَاطِرِي	مَهْمَا نَأَتْ دَارٌ وَشَطَّ مَزَارُ
عَهْدٌ بِهِ كُنَّا نَعِيشُ لِحُلُوهِ	وَلِمُرِّهِ وَلَنَا الْفَضَاءُ مَدَارُ

(١) يا جعفر.

سُفِيّاً لَأَيَّامِ الشَّبَابِ وَزَهْوِهَا فِي كُلِّ مَيِّدَانٍ لَنَا مِضْمَارُ
نَجْرِي وَلَا مَنْ يَنْبِرِي لِسَبَاقِنَا وَعَلَى خُطَانَا تُقْتَفَى الْأَثَارُ

* * * * *

وَافِي قَصِيدُكَ فِي أَوَانٍ مُثْقَلٍ شَغِلْتُ بِنُوعِ جَنِينِهِ الْأَفْكَارُ
تَرْنُو لَجْوً مُنْذِرٍ بِصَوَاعِقٍ لَا النَّشْرُ يُسْلِيهَا وَلَا الْأَشْعَارُ
فَأَتَى كِفَاكِهِ بِغَيْرِ أَوَانِهَا لَا النَّفْسُ تَطْلُبُهَا وَلَا تُشْتَارُ
هَلْ مِنْ سَبِيلٍ لِلْجَوَابِ بِفَثْرَةٍ نَامَ الرَّقِيبُ بِهَا وَسِيبَ الدَّارُ
وَالْجِسْمُ يَرْزُحُ تَحْتَ وَطْأَةِ دَائِهِ وَالْفِكْرُ يَشْرُدُ تَارَةً وَيَحَارُ
لَكِنَّمَا وَهْنَا الْمَصِيبَةُ لَيْسَ لِي فِي الرَّدِّ أَوْ عَدَمِ الْجَوَابِ خِيَارُ
سَلَّمْتُ أَمْرِي لِلظُّرُوفِ وَسَرْتُ فِي دَرْبٍ تَحَفُّ بِرُكْبِهِ الْأَخْطَارُ
وَحَمَلْتُ أَدَوَائِي وَجِثُّكَ مُنْشِدَاً وَعَلَيَّ مِنْ وَغْتِ الطَّرِيقِ غُبَارُ
فَاعْذُرْ إِذَا مَا كُنْتَ فِيهِ مُقْصِراً عِنْدَ الْأَكَارِمِ تُقْبَلُ الْأَعْدَارُ

* * * * *

مَاذَا يَشُوقُكَ مِنْ رُبُوعِ عِفْتِهَا أَحْسَانُهَا أَمْ صُخْبَةُ أَخْيَارُ؟
أَقْصَرُ حَنِينِكَ لِلدِّيَارِ وَأَهْلِهَا فَلَقَدْ خَبْتُ فِي سَاحِهَا الْأَنْوَارُ
وَتَجَاهَلُ الْمَاضِي فَقَدْ ذَهَبَتْ بِهِ غَيْرُ الزَّمَانِ وَصَرْفُهُ الْغَدَّارُ
دَارُ الْأَحْبَةِ قَدْ تَقَلَّصَ ظِلُّهَا وَتَفَرَّقَ الْأَصْحَابُ وَالْأَنْصَارُ
وَعَدْتُ مِثَاراً لِلتَّحَسُّرِ بَعْدَمَا عَفَتْ الدِّيَارُ وَغَابَتِ الْأَقْمَارُ
الْعَنْزَةُ الشَّمْطَاءُ^(١) جَفَّ حَلِيبُهَا وَذَوْتُ نَضَارَتِهَا وَبَارَ الْكَارُ

(١) تعريض بزوجة السيد جعفر الأولى، وقد ورد ذكرها في قصيدة السيد نور الدين
رثاء معزاة .

هَزَلْتُ فَلَا لِلأَكْلِ يَصْلُحُ لَحْمُهَا هَوْنٌ عَلَيْكَ فَلَا تَدُومُ مَسْرَةٌ
وَبَجَلْدِهَا لَا يُرْقَعُ البُسْطَارُ^(١) وَكَذَا المَصَائِبُ فِي الدُّنَا أَقْدَارُ

* * * * *

هَلَّا يَشُوقُكَ للسياسة مَجْلِسٌ وَتَصْدَرُ الأَقْطَابُ فِيهِ وَكُلُّهُمْ
وَأَتُوا عَلَى ذِكْرِ الحُرُوبِ وَهَوْلِهَا يَتَحَرِّقُونَ إِلَى الجِهَادِ حَمَاسَةً
أَيَقْنَتُ أَنَّ الجَيْشَ سَارَ وَقُلْتَ قَدْ أَمَّا إِذَا بَرَزَ العَدُوُّ حَقِيقَةً
يَتَلَمَّسُونَ إِلَى النِّجَاةِ طَرِيقَهُمْ وَإِذَا نَقَذَتْ كَلَامَهُمْ وَفِعَالَهُمْ
قَهْمٌ إِذَا رِيحَ العَرِينِ حُمَائِهِ وَلَوْ ائْتَجَلَتْ لِلنَّازِلِينَ نُفُوسُهُمْ
لَبَدَّوْا أَسَاطِينَ التَّدَلُّسِ وَالرِّيَا لَهُمُ الرِّيَاسَةُ وَالْقِيَادَةُ وَالْعَلَى
لَمْ يَسْلُكُوا دَرَباً سِوَى دَرَبِ بَهَا يَتَقَلَّبُونَ مَعَ الرِّيَّاحِ فَتَارَةً
وَتَفَرَّقُوا شَيْعاً وَلَا مِنْ جَامِعٍ أَمَّا المَغَالِي فِي العَرُوبَةِ حَسْبُهُ
هَذَا سِيَاسَتُنَا وَهَذَا دَرُبُهَا وَقَدْ اسْتَبَاحْتُ أَرْضَنَا الأَشْرَارُ
ذَرَبُ اللِّسَانِ حُسَامُهُ بَنَارُ خَاضُوا الصَّفُوفَ وَكُلُّهُمْ مِغْوَارُ
مَا هَابَهُمْ حَثْفٌ وَلَا اسْتِعْمَارُ زَحَفَ المُشَاةُ وَحَلَّقَ الطَّيَّارُ
خَفُّوا إِلَى هَجَرِ العَرِينِ وَطَارُوا مَا شَانَهُمْ^(٢) عِنْدَ الهَزِيمَةِ عَارُ
نَقَمُوا عَلَيْكَ وَجَادَلُوكَ وَثَارُوا وَهُمْ بَلِيلُ الحَادِثَاتِ مَنَارُ
وَأُزِيحَ عَنْهَا بُرْقَعٌ وَسِتَارُ كَذِبٌ وَمَجْدٌ زَائِفٌ وَفَخَارُ
وَجَمِيعُنَا مِنْ بَعْدِهِمْ أَنْفَارُ تَتَحَقَّقُ الرِّغْبَاتُ وَالْأَوْطَارُ
رَهَوًّا وَظُوراً رِيحُهُمْ إِغْصَارُ وَأَخُو الشَّرَاهَةِ شَقُّهُ الدُّوَلَارُ
أَجْرُ الجِهَادِ الفِلْسُ وَالدِّينَارُ أَيُّشَدُّ رَحْلٌ أَوْ عَلَيْهِ يُسَارُ

* * * * *

(١) الحذاء.

(٢) عاب، ضد زان.

أَمْ هَلْ يَرَوْكَ لِلْجَاهَةِ مَجْلِسٌ بَرَزْتَ بِهِ الْحُدُثِ وَالسُّنَانِ

ومضى به (عبد الجليل) ^(١) مُحَدِّثًا
وسمعت (أسعد) ^(٢) للحديث مَعْقِبًا
آبَاؤُهُ رُسُلُ الْهَدَايَةِ وَالثَّقَى
فَهَذَا الرِّوَاةُ الْغَابِرُونَ بِفَضْلِهِمْ
وعليه مِنْ صَدَقِ الْحَدِيثِ وَقَارُ
لَعْرَاكَ مَغْصُ أَوْ ذَهَابُ زُحَارُ
شُمُّ الْمَعَاطِسِ سَادَةُ أِبْرَارُ
وَبِمَجْدِهِمْ تَتَرَادُ الْأَفْكَارُ

بَلَدٌ كَهَذَا هَلْ يُحَنُّ لِأَهْلِهَا
كَذِبٌ وَتَدْلِيسٌ وَسُوءُ أَمَانَةٍ
فَوْضَى التَّجَدُّدِ بَذَلَتْ أَخْلَاقُنَا
أَهْلُ الْفَضِيلَةِ يَخْجَلُونَ بِوَضْعِهِمْ
لَا شَيْخُهَا يُرْجَى صَلَاحُ عِنْدَهُ
فَأَذِرْ لَهَا ظَهْرًا وَلَا تَحْفَلْ بِهَا
وَارْتَعْ بِشَقَرَا حَيْثُ تَزْدَهَرُ الرَّبَى
فَعَلَى مَزَابِلِكُمْ يَطِيبُ الْمُلتَقَى
أَمْ تَسْطَتِيبُ مَنَاخَهَا الْأَحْرَارُ
وَهُمْ عَلَى صِغَرِ النُّفُوسِ كِبَارُ
وَطَغَى عَلَى مَجْمُوعِنَا النِّيَارُ
وَبِفُسْقِهِمْ يَتَبَجَّحُ الْفُجَّارُ
وَكَذَلِكَ النَّاطُورُ وَالْمَخْتَارُ
فَلَأَنْتُمْ الصُّلَاحُ وَالْأَطْهَارُ
وَالسَّائِمَاتُ ^(٣) حَلِيبُهَا مَدَارُ
وَيَلْدُ بَيْنَ كُرومِكُمْ مُشَوَارُ

نور الدين بدر الدين

النبطية في ١٥/٨/١٩٦٧



- (١) السيد عبد الجليل شكر. شاعر من بلدة الخيام، استوطن النبطية بعد التقاعد.
(٢) نجل السيد عبد الجليل شكر.
(٣) المواشي.

عزیز علینا أن نذیر لکم ظهراً

"وفاء بالوعد، فقد حمَلْتُ النفسَ والفکرَ فوق طاقتهما واغتنمتُ بعضَ الفُرص التي كنتُ أرى نفسي فيها مرتاحاً من الألم ورتبتُ لکم هذا الجواب على قصیدتکم القديمة التي تعلمون أنَّ الممرض كان العائقَ عن کتابته في حینہ. فإنْ أعجبک المضمون فانشره كالعادة وإلاَّ فاطَّوِّه وكأنَّه لم یکن".

أبا أكرم بدلت من حلونا مُراً
نأيت^(١) فلم يَملاً فراغك سيِّد
لئن جدَّ فيك الشوق نحوي فإنني
قرية^(٢) دهر ليس يعدل ساعة
فكيف تناسيت الربوع وأهلها
وقد كنت مقصود الجناب مبجلاً
فإن تك أنكرت الجميل فإننا
نحن إلى الماضي ونشتاق قُرْبكم
وقد كان أولى أن نسومك ذلَّة
وخلفتنا من كل مآثره صفراً
وتأهت علينا في سيادتكم شقراً
أقيس ذراعاً كلما قست لي شبراً
وساعة أنس فيك قد تعدل العمرا
وعيشاً هنيئاً قد نعمت به دهرأ
وكانت وفود المعجبين بكم تنرى
على العهد ما زلنا تُعاودنا الذكرى
وإن كنت أعلنت القطيعة والهجرة
فعدنا رضينا في جهالتكم قسراً

(١) نأيت : بعدت.

(٢) رُبُّ ورِيَّة : حرف جر للتقليل أو التكثير.

فَمِنْ طَبَعِنَا حَفْظَ الذَّمَامِ وَإِنَّهُ عَزِيزٌ عَلَيْنَا أَنْ نُدِيرَ لَكُمْ ظَهْرًا

* * * * *

عَشِيقَتَ فَلَمْ نَبْخُلْ عَلَيْكَ بِغَادَةٍ
حَبِيسَةٍ بَيْتٍ لَمْ تَرَ الشَّمْسُ وَجْهَهَا
فَمَا ذُكِرَتْ إِلَّا وَأَضْرَمَ ذِكْرُهَا
رَغَبْنَا إِلَيْهَا بِالْقُبُولِ فَأَذَعَنْتْ
وَمَا نَكَفَتْ وَجْهًا قَبِيحًا كَوَجْهِكُمْ
وَكَانَتْ بِشَرِّ طَوْعِ يَمِينِكُمْ
وَقَضَّيْتُ عَيْشًا بَارِدًا فِي ظِلَالِهَا
أَسَاءَكَ مِنْهَا عُقْمُهَا أَمْ سُلُوكُهَا
قَصَدَتْ سِوَاهَا تَرْتَجِيهِ وَعَفَّتْهَا
وَعُدْتُ إِلَى أَرْضِ الْجُدُودِ تَبُّثُهَا
تَتَوَقُّ إِلَى لَحْمِ الْجَمَالِ وَطَعْمِهِ
تَلْقُوا سَيَادَتَكُمْ بِكُلِّ بُرُودَةٍ
وَيْتٌ بِشَقَرَا لَا تَرَى لَكَ مُؤْنَسًا
فَهَا جُنَّتْ أَطْيَافُ النِّعِيمِ بِقُرْبِهَا
نَدِمْتُ وَلَكِنْ لَا تَسَاعَةٌ مِنْدَمٌ^(٣)
وَجِئْتُ إِلَيْنَا تَسْتَجِيرُ مِنَ الدُّنَى

رَبِيبَةِ بَيْتِ الْمَجْدِ سَتِ النَّسَا طَرًا^(١)
وَمَا كَلَّمْتُ زَيْدًا وَلَا جَالَسْتُ عَمْرًا
عَلَى بُعْدِهَا فِي قَلْبٍ عَاشِقِهَا جَمْرًا
لِرَغَبَتِنَا (وَالزَّيْرُ فِي إِلْفِهِ أَدْرَى)^(٢) الزَّيْرُ
إِذَا رَأَاهُ الشَّيْطَانُ بِسَمَلٍ وَازْوَرَا
وَمَا طَلَبْتُ مِنْكُمْ جَهَازًا وَلَا مَهْرًا
كَأَنَّكَ فِي نُعْمَاكَ قَيْصَرَ أَوْ كَسْرَى
فَقَدْ وَلَدْتُ أَسْدًا وَمَا حَمَلْتُ وَزْرًا
بِلا سَبَبٍ قُلْ مَا أَجَنُّ وَمَا أُخْرَى
عَوَاطِفَ مُشْتَاكِ يَهِيمُ بِهَا ذِكْرَى
وَتَنْشُرُ مِنْ مَاضِيكَ مَا قَدْ مَضَى سَرًا
فَمَا قَرَعُوا طَبْلًا وَلَا نَفَّخُوا زَمْرًا
سِوَى جُبَّةِ سُودَاءٍ أَوْ عِمَّةِ خَضْرَا
فَعُدْتُ كَثِيبًا كَالْحِجَابِ الْوَجْهِ مُغْبَرًا
فَرُحْتُ تُوَارِي مِنْ ذُنُوبِكَ مَا مَرًّا
وَتَطْلُبُ صَفْحًا عَنْ جَرِيرَتِكَ الْكَبْرَى

* * * * *

(١) إشارة إلى زواج السيد جعفر في النبطية.

(٢) من الأمثال السائرة.

(٣) من الأقوال المأثورة.

عَهْدِنَاكَ لَا تَأْوِي لِغَيْرِ قَطِيعِنَا
فَكَيْفَ تَرَكْتَ الدَّارَ تَنْدُبُ إِلَيْهَا
فَمَا وَطِئْتَ رِجْلَكَ أَرْضاً كَأَرْضِنَا
وَلَا أَبْصَرْتَ عَيْنَاكَ مَوْطِنَ الْفَةِ
قُدَيْتَ وَلَوْ يُرْجَى الْفِدَاءُ لِمَذْنِبِ
فَقُلْ لِي مَا أَغْرَاكَ فِي هَجْرِ بِلَدَةٍ
وَمَا رَاقَهَا إِلَّا كَخُلُقَا وَمَحْتَدَا
فَمَنْ تَرَكَ الْعَيْشَ الرَطِيبَ وَأَنْسَهُ
يَكُونُ كَمَنْ بَاعَ الْوُجُودَ بِأَجَلٍ^(٢)

وَلَسْتُ تُطِيقُ الْبُعْدَ عَنَّا وَلَا الصَّبْرَ
وَتَذَكَّرُ فِي الدِّيَجُورِ طَلْعَتَكَ الْغَرَا
وَلَا سَلَكَتَ مَا عَشْتِ سَهْلاً وَلَا وَعَرَا
تَطِيبُ لَهُ نَفْساً وَتَسْمُو بِهِ فِكْرَا
أَوِ الْعَذْرُ عَنْهُ لَالْتَمَسْتُ لَكَ الْعُذْرَا
تَلَقَّيْتُكَ مَمْلُوكاً^(١) وَعَشْتِ بِهَا حُرّاً
وَلَا اسْتَمْلَحْتُ سُوداً أَوْ اسْتَظَرَفْتُ سَمْرَا
وَطَلَّقْتُ دُنْيَاهُ لِيَنْعَمَ بِالْأُخْرَى
وَذَلِكَ حُمُقٌ لَا يَنَالُ بِهِ أَجْرَا

١٨ أيلول ١٩٦٧



(١) المملوك : العبد.

(٢) تضمين للقول: وما عاقل باع الوجود بدين.

لعنة إبليس

"التقيت يوماً، وأنا في بنت جبيل، بالسادة موسى الزين شرارة (أبو عدنان) ومحمد فلحة (أبو وحيد) وإبراهيم نعيم بزي (كنيته أبو نعيم) وعبد اللطيف سعد (أبو فؤاد)، فاتفقنا أن نلتقي ظهراً ونتغدى معاً عند أحدهم وعلى طريقتهم. وصادف أن التقيت بعد قليل الدكتور عباس اسماعيل فلم أتمكن من التملّص من دعوته. فكان الغداء عنده وهو المعروف بأنه يحمل خشبة الدين بالعرض وكثيراً ما يعتبره البعض مبعوث الله فوق العادة على الأرض (ويا حُرّة مع مَنْ عَليقتِ!) فما كان من السادة الأربعة الأول إلا أن أرسلوا هذه الأبيات ونحن لا نزال على مائدة الدكتور " :

أَجْعَفِرُ قَدْ لَعِنْتُ دِينَ	وشرع مثل إبليس اللعين
لَكَ الْإِلْحَادُ يَا مَقْصُوفٌ يُعْزَى	كَأَنَّكَ لَسْتَ مِنْ آلِ الْأَمِينِ
تَرَكْتَ (أبا نعيم) فِي الْمَصَلَّى	يُنَاجِي اللَّهَ بِالْدمعِ الْهَتُونِ
يَقُولُ: نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا	وَتَأْكُلُ أَنْتَ بِالْديكِ السَّمِينِ
وَيَدْعُو رَبَّهُ هَبْ لِي طَعَامًا	حَلَالًا طَابَ مِنْ عَرَقِ الْجَبِينِ
وَدَعْ لِسَوَايَ مَا يُغْري وَيُلْهي	فَحَسْبِي مِنْكَ يَا رَبَّاهُ دِينِي

* * * * *

تَنُتَمُّوْنَ مِنْكَ فِي دُنْيَا غُرُورٍ إِذَا ضَحَكْتَ سَتَبْكِي بَعْدَ حِينٍ

وَحَلُّ فِي جَنَانِ اللَّهِ عَبْدًا
وَيَكْرَهُ مِنْ رَحِيقِ الْخُلْدِ خَمْرًا
سَتَصْرِخُ إِذْ تَرَاهُ مَعَ النَّدَامَى
أَلَا يَا لَيْتَنِي صَلَّيْتُ فَرَضًا
لَكُنْتُ الْيَوْمَ فِي الْجَنَّةِ طَيْرًا
إِلَهِي اغْفِرْ لِأَسْمَاعِيلَ ذَنْبًا
فَهَذِي فِي حَيَاتِي غَادِرَتَنِي
وَهَذَا فِي "غَدَاهُ" قَدْ ابْتَلَانِي
إِذَا لَمْ يَغْفِرِ الْأَصْحَابُ ذَنْبِي

يُزَفُّ غَدَاً إِلَى حُورٍ وَعَيْنِ
مُعْتَقَّةً بِكَاسٍ مِنْ مَعِينِ
سَمْتُ الْعَيْشِ يَا نَارُ احْرِقْنِي
وَرَاءَ الزَّاهِدِ الْوَرَعِ الْفَطِينِ
أَعْرُدْ فَوْقَ غُضَنِ الزُّيُفُونِ
وَسَامِخْ قَبْلَهُ أُمَّ الْبَنِينِ
أَكَادُ أَمُوتُ شَوْقًا لِلطَّحِينِ
فَالْهَانِي وَأَنْسَانِي خَدِينِي
إِلَى شَقَرَاءِ يَا رِيحُ احْمِلِينِي



وماذ في عرينكم...

أَبْغَدَ الصَّالِحَاتِ مَنْ السَّنِينَ
وَمَا أَفْرَقْتُ مِنْ مَاءٍ نَمِيرٍ
أَبِيعْكُمْ لِسَاعَاتٍ يَقِينِي
اسْتَعَنْتُ عَلَيْكُمْ بِاللَّهِ مِمَّا
وَمِنْ عَشْقٍ لَتَضْلِيلِ الْبَرَائَا
فَكُفُّوا عَنْ مَلَا حَقَّتِي فَإِنِّي
وَلَسْتُ بِفَاهِمٍ مِنْكُمْ حَدِيثًا
وَعَنْ إِعْجَازِ رَحْلَةِ غَاغَارِينَ^(٣)
وَأَبَاتٍ عَلَى الْحَيْطَانِ خُطَّتْ
وَعَنْ سَحَرِ الْمِبَاسِمِ وَالْعَيُونِ
وَعَنْ كَاسٍ مِنَ الْخَمْرِ الْمُصَفَّى
فَكُنْ مِنْ قَبْلِكُمْ إِبْلِيسُ قَاسِي
فَعَادَ يَحْكُ مِنْ فَشَلٍ قَفَاهُ
وَمَا طَبَعَ السُّجُودَ عَلَى جَبِينِي
عَلَى عَطَشِي لِيُظْهَرَ بِنُطْلُونِي^(١)
وَأُخْسِرُ بَعْدَ طَوْلِ الْجَهْدِ دِينِي
لَدَيْكُمْ لِلْغَوَايَةِ مِنْ فَنُونٍ
كَعَشْقِ الْقِرْدِ بَغْثَرَةِ الطَّحِينِ
غَلِيظُ الْقَلْبِ ذُو ذَهْنٍ تُخِينِ
عَنْ ابْنِ بَطُوطَةِ أَوْ أَفْلَاطُونِ^(٢)
وَأَمْجَادٍ لِوَقْعَةٍ مَيْسَلُونَ
بِتَفْضِيلِ الْيَسَارِ عَلَى الْيَمِينِ
وَطَيْرٍ صَادِحٍ فِي كَرَمٍ تَبِينِ
تَضَوُّعٍ مِنْهُ عَطَرُ الْيَاسُونِ
وَحَاوَلَ جَهْدَهُ كَيْ يَصْطَفِينِي
وَهَجَّ بِفَعْلٍ إِيْمَانِي الْمَتِينِ

* * * * *

- (١) أعجمية، السروال.
(٢) ابن بطوطة : الرحالة المعروف. وأفلاطون: الفيلسوف الإغريقي.
(٣) يوربي غاغارين: ملاح الجو السوفياتي، أول من دار في مركبة حول الأرض.

أَيْحَضِرُنِي الْمَشِيرُ أَبُو نَعِيمٍ
 وَمَاذَا فِي عَرِينِكُمْ فَيُرجى
 لِمَنْ تَسْتَهْزُوا مِنِّي فَلَمَنِ
 وَقَدْ أَحْسَنْتُ صَنْعاً دُونَ شِكِّ
 فَمَا فِي الْمَضْغِ لِلْأَخْيَارِ عَيْبٌ
 وَكَيْفَ يُعَيْبُنَا أَكْلٌ وَشَرْبٌ
 فَلَوْلَا وَعْدُهُ بِلَذِيذِ أَكْلِ
 لَمَّا لَمَسْتُ جِبَاهُ الْبَعْضِ أَرْضاً
 وَلَا صَدِيقٌ قُبْتُهُ تَعَالَتْ
 وَيَا إِخْوَانَنَا بِاللَّهِ كُونُوا
 وَخَاشَا أَنْ تُخَامِرُكُمْ شُكُوكٌ
 وَأَنْتَهُمْ أَضَافُونِي إِلَيْهِمْ
 فَمَنْ كَانَ الرِّغِيفُ لَدَيْهِ نَجْماً
 يَطِيبُ لَهُ بِهِذَا الْيَوْمَ طَبْعاً
 فَكَمْ طَرَبَتْ لِرَنْتِهَا ضُلُوعِي
 فَلَا ابْتُلِيَ الْمُحِبُّ بِسُوءِ هَضْمٍ
 لِيَزْدَرِدَ^(١) الطَّعَامَ بِلَا عَنَاءٍ

وَأَرْكَانُ الْقِيَادَةِ فِي الْعَرِينِ
 وَجُلُّ طَعَامِكُمْ دَخْرُوبُ تَيْنٍ^(٢)
 (مَتَى أَضَعُ الْعِمَامَةَ تَعْرِفُونِي)^(٣)
 بِرُكُضِي خَلْفَ فَرْجِ سَمِينٍ
 وَلَا فِي الْبُلْعِ مِنْ فَعْلٍ مُشِينٍ
 وَأَخْرَانَا غَدًا أُخْرَى الْبَطُونِ
 تُقَدِّمُهُ أَيَْادِي حُورِ عَيْنٍ
 وَلَا طَالَتْ شَعُورٌ فِي ذُقُونِ
 وَلَا ارْتَفَعَتْ مَنَارَةٌ (بِيتْحُونِ)^(٤)
 عَلَى ثِقَةٍ وَجَزْمٍ مِنْ يَقِينِي
 بِأَنَّ الْبَعْضَ عَنْكُمْ أَبْعَدُونِي
 وَفِي بئرِ الْغَوَايَةِ دَنَدَلُونِي^(٥)
 وَبَحْرٌ مُحِيطُهُ لَكَنَّ^(٦) الْعَجِينِ
 صَدَى وَقَعَ الْمَلَاعِقُ وَالصُّحُونِ
 وَكَمْ رَقَصَتْ لِمَرَاها عُيُونِي
 وَلَا بِالضُّيْقِ فِي الدَّبْرِ الْمَصُونِ
 وَيُخْرِجُهُ بَلِينٌ بَعْدَ حِينِ

(١) التين المجفف.

(٢) ورد هذا القول على لسان الحجاج بن يوسف الثقفي مخاطباً أهل العراق

(٣) منارة الجامع في بلدة بيت ياحون، وهي مشهورة بالارتفاع عن غيرها من المآذن.

(٤) دَنَدَلٌ : دَلَّاهُ فَتَدَلَّى . (عامية).

(٥) لَكَنَّ : وعاء من نحاس يُعَجَّن وَيُغْسَلُ فِيهِ . (فارسية)

(٦) ازدرود الطعام : بلعه وأسرع

رَبَا أَسْفَى عَلَيْكَ أَبَا وَحِيدٍ
وَنَجْرِي لَا يَصُذُّكَ نُصْحُ هَادٍ
'أَبُو عَدْنَانَ' لَا يَعْنِيهِ أَمْرِي
وَلَا تَحْسَبْ بَأَنَّ 'أَبَا نَعِيمٍ'
فَمَنْ لَمْ يَخْشَ رَبًّا قَدْ بَرَّاهُ
تَقَالِ إِلَيَّ يَا ابْنَ الْخَالِ^(٢) نَمْضِي
لِنَنْزَعِ مِنْ فَوَادِكَ كُلَّ شَكٍّ
'فَأَسْمَاعِيلُ' يَحْشُو الْمَخَّ وَغَضًّا
فَعَيْبٌ أَنْ تَظُلَّ عَلَى ضَلَالٍ
وَتُشْرِكَ لِلزَّمِيلِ 'أَبِي فَوَادٍ'

تُسَاقُ بِسَوْطِ شَيْطَانٍ لَعِينٍ
كَأَنَّكَ فِي مَسِيرِكَ (كَالْتَرِينِ)^(١)
وَلَا يَعْنِيهِ مَا بَكَ مِنْ شُجُونٍ
سَتَبْقَى مِنْهُ فِي حُضْنِ حَصِينٍ
فَلَيْسَ عَلَى وَدَادِكَ بِالْأَمِينِ
إِلَى رُكْنِ الْهَدَايَةِ وَالْيَقِينِ
تُعَانِي مِنْهُ كَالْجَرَحِ الدَّفِينِ
وَلَيْسَ بِحَشْوِ بَطْنِكَ بِالضَّئِينِ
وَقَدْ جَاوَزْتَ حَدَّ الْأَرْبَعِينَ
فَخَارَ الْفُوزُ فِي نَضْبِ الْكَمِينِ



(١) الترين : أعجمية، وهو القطار. وقد ضرب به المثل حيث إذا سار لا يجيد عن
خط سيره.

(٢) ابن خال السيد محسن الأمين.

كما يأتي الربيع ويزهر

صديق الصبا والعمر هل أنت باقياً
ليالٍ قضيناها على غفلة الصبا
بما مرَّ مهما بآعد الوقت بيننا
لأنت إلى قلبي المحبِّب والذي
عرفتك جدياً بكلِّ مهمّةٍ
وكننت مثالاً للذين تنشأوا
صنعت مع الأيام جيلاً مهذباً
فكننت شعوراً صادقاً دون غايةٍ
وتغطيه ما يُعطي المعلم طالباً
خرجت من السلك الكريم مكرماً
مربِّ عرفنا فيك آيةً قيّمةً
وأعطيت شقراء الجنوب مكانةً
بما أنتجت من قادة الفكر والنهي
يطيبُ إلى نفسي لقاءك علني
وأرتاح من جوِّ يلفّ ربيعنا
كانّا فقدنا ما يُقيّم وضعنا
وقفنا على كفِّ العفاريت نشتكي
وباعوا بأثمان النخاسة أمةً
على عهدنا الماضي وهل أنت تذكرُ
تعاودني إمّا أردت أفكرُ
ومهما مضت فينا سنون وأشهرُ
أرى فيك إنساناً أجلاً وأكبرُ
تزاولها عن همةٍ لا تُقصرُ
على العلم إذ أعطيت ما ليس يُحصرُ
وقد بلسمت يُمناك من كاد يكفرُ
تعيش مع المحروم ما كان يشعرُ
ليمضي لما أعطيت لا يتذكّرُ
على رغم من قد حاربوك وشهروا
تسلّقتها والحاقدون تأخروا
يُدعّم ماضٍ كان فيها يُنورُ
ومن سادةٍ شادوا عللاً ثم حرّروا
أعود كما يأتي الربيع ويزهرُ
غموضٌ به الرائي بدا يتعثرُ
وليس لماضينا (عليّ) و (عبرُ)
لمن يا ترى نشكو لمن قد تأمروا
وفي منطق التزوير منها تستروا

عَرَفْتُكَ لَا تَهْوَى التَّقَالِيدَ وَالَّذِي
عَرَفْتُكَ تَهْوَى عَيْشَةَ الْكَوْخِ رَغْبَةً
بِأَذْيَالِهِ وَالْبُؤْسَ عَضُّ كِيَانِهِ
تَقْبَلُ تَحِيَّاتِي وَكُلَّ مُحِبَّتِي
مِنَ النَّزَعَاتِ السُّودِ مَهْمَا تَلَوْنَتْ
وَشَوْقِي إِلَى دَارِ بَعَثَتْ أَرْبَجَهَا
إِلَّا لَيْتَنِي جَنْبًا لَجَنْبٍ أَعِيشُهَا

يعودُ إلى ماضٍ به المجدُ يزخرُ
وتَحْنُو على المغلوب وهو يُجرجرُ
ويَسْحَقُهُ المتخوّم وهو يُشرثرُ
لأَنْتَ وفي عُرفي الأبِّي المُحررُ
مَنْ النَّاسُ لَا تَعْدُوكَ إِنَّكَ جَعْفَرُ
بِمَا صَنَعْتَ كَفَّاكَ وَهِيَ تُسْطَرُ
ويَغْمُرُنِي فِيهَا الْوَفَا وَهُوَ مَظْهَرُ

محمد المزرعاني

١٩٧٣/٣/٨



"أخي الحبيب محمد مزرعاني

كنت أرسلت لي قصيدةً حالت الظروف في حينه دون الإجابة عليها وقد بقي ذلك يحزُّ في نفسي ويُقلِّقني، إذ ليس من عادتي أن لا أقابلَ الحسنة بمثلها. وكما يرجع المفلسُ إلى دفاتر جدِّه العتيقة، رجعتُ إلى قصيدتك في هذه الأيام الممطرة الباردة برودة الحياة والأجواء التي نعيشها. لقد كان صعباً عليَّ النظمُ بعد هذا الانقطاع الطويل، كما كان صعباً على امرأة زكريا ولادةُ يحيى بعد الهرم وتجعد الجلد وتقلص وصدأ مداخل البدن ومخارجه من أثر السنين وقلة الاستعمال. وها أنا أعود بعد المخاض الطويل والعسير وعلى الناشف وبدون قابلة ولو غير قانونية لأبعث بهذه الأبيات ومع ذلك فليستُ أميناً من صحة وزنها وقافيتها ونحويتها وسلامة موضوعها. وكما قلتُ من قصيدة للمرحوم نور الدين بدر الدين أقولُ لك معترداً مع الدعاء لك بطول العمر.

وما يملكُ (المعلوم) يُدليه عادةً وليسَ عليه أن يُدْنِله متراً المهم عندي أنني أخيراً وفيتُ لك ديناً كان لك في عُنقي وإن جاء متأخراً ومن سَقَطِ المتاع. واسلمُ".

جعفر الأمين

شقرا نهاية شباط ١٩٨١

ذكري تُعاودني حيناً فأبتسمُ وَيَطْرُبُ القلبُ لَا يَأْسُ وَلَا سَأْمُ
وَقَدْ تُعَدُّ نَعِيماً غَفْوَةً سَنَحْتُ لِمَنْ يُورِّقُهُ الْأَلَامُ وَالسَّقَمُ
وَرُبَّمَا لَدَّ فِي بَيْدَاءٍ مُظْلَمَةٍ بَصِيصٌ نُورٍ بِأَقْصَى الْأَفْقِ يَرْتَسِمُ

ذكراكم مُتعة فيها يُطالعني
 فتَنجلي من أمامي كلُّ شائبة
 وأستريحُ إلى حينٍ ويُوقظني
 أعيذكُم أن تكونوا كالذين مضوا
 "قومٌ إذا استنبَح الأضيافَ كلبهم
 بولي على النار في ضيقٍ وفي وجلٍ
 فخببت سؤلهم بُخلًا ببؤلتها
 ومن تميمٍ لهم في لؤمها سلفٌ
 ما همَّهم وعَناهم غيرُ أنفسهم
 فلا يهشُّ لهم وجهٌ لمغتبطٍ
 ويغْمضونَ على الأقداءِ أغينهم
 كأنهم لم تكن يوماً لهم نُظُمٌ
 إن يزعم البعضُ عن حقدٍ وموجدةٍ
 وأنَّ طبعكم قاسٍ وقسوته
 وأنكم ما مشيتمُ مرةً أبداً
 فلا اليسارُ يسارٌ في يساركُم
 وأنكم يومَ حشرِ البعضِ في سَعَرٍ
 وظنُّ ذا البعضِ أنَّ الدَّسَّ يُنجحهم
 فكُنتم قُدوةً في الانفتاحِ لهم
 وكم تَبَجَّحَ فيما قد مضى نَفَرٌ
 وأنَّ إنسانهم ما مثله أحدٌ
 وحَقَّروا الغيرَ من وحشٍ ومن بشرٍ

جَفَظُ الذَّمَامِ وجودُ الكَفِّ والشَّمَمِ
 يَمَجُّها الذوقُ والأعرافُ والذَّمُ
 على المرارةِ كَفٌّ غادرٌ وفمٌ
 ولم يَزَلْ بيننا في السُّوءِ شَبَهُهُمُ
 قالوا لأهمهم من فرطِ شَحْهُمُ^(١)
 كأنَّ رَبَّ المَنايا دَقَّ بابَهُمُ
 وغيرَ بَضْعِ نقاطٍ لم تَبُلْ لهمُ
 وفي المكارمِ لا أسلافَ عندهمُ
 ولَيْسَ يشغَلهم ما فيه غيرُهُمُ
 ولا تَرَقُّ لذي بلوى قُلوبُهُمُ
 إنَّ جاء مَنْ يشتري منهم ضميرَهُمُ
 ولم تُنِرْ مرةً آفاقَهُم قِيمُ
 بأنَّكم مَغشَّرُ صَعْبٍ مِراسُهُمُ
 كاللون والطعم في مَغلي شايكُمُ
 إلَّا وكان بعكس السير سيركُمُ
 ولا اليمينُ يمينٌ في يمينكُمُ
 سَتُحْشَرُونَ بها في القعرِ وحدَكُمُ
 فيشمتونَ ولكنَّ خابَ ظَنُّهُمُ
 وصِرْتُمُ قَادَةَ والتَّابِعُونَ هُمُ
 بأنَّهم خيرُ خلقِ الله كلَّهُمُ
 وأنَّ أشرفَ حيوانٍ بعيرُهُمُ
 وبِالْخلائقِ طَرًّا ساءَ قولُهُمُ

وَإِذْ بِهِمْ بَعْدَ حِينٍ يَلْجَاوْنَ إِلَى
فَيَصْبِحُ الدُّبُّ خَيْرَ الْوَحْشِ قَاطِبَةً
وَلَيْسَ ذَلِكَ عَنْ دَرَسٍ وَتَوْعِيَةٍ
فبَعْضُهُمْ لِنَكَايَاتٍ بَبَعْضِهِمْ
وَرَبَّكُمْ كَمْ تَجَافَوْهُ وَقَدْ عَلِمُوا
مَا لَأَنْ يَوْمًا لَهُ عُدُّ لِمَغْتَصِبٍ
وَقَدْ نَسُوا وَقْفَةً مِنْهُ مُشْرِفَةً
أَذْ بَابُ كُلِّ الْقَرْيِ مِنْ خَوْفِهَا رَقَصَتْ
فَكَانَ رَمَزَ التَّصَدِّيِّ وَالصَّمُودِ لَنَا
"الْخَيْلُ وَاللَّيْلُ وَالْبِيدَاءُ تَعْرِفُهُ
فَقَدَّسَ اللَّهُ حُرْشًا ضَمَّ أَضْلَعَهُ

مَنْ كَانَ أَبْغَضَ خَضَمٍ فِي خُصْمِهِمْ
وَمُقْتَنُوهُ نُجُومًا يُهْتَدَى بِهِمْ
لَكِنَّ ذَلِكَ رَغْمًا عَنْ أَنْفُسِهِمْ
وآخَرُونَ لَكِي تُحْشَى جُيُوبُهُمْ
بِأَنَّهُ يَعْرِبِيُّ الْأَضْلِ مِثْلُهُمْ
وَلَمْ تَسِرْ خَلْفَ دَجَالٍ لَهُ قَدَمٌ
فِي مَهْرَجَانٍ أَقَامُوهُ لِبَيْكِهِمْ
إِلَّا الرِّفِيقُ أَبِي الضَّمِيمِ دَبَّكُمْ
مَنْ قَبْلَ أَنْ تُخْلَقَ الْجِبَاهُ وَالْعِجْمُ
وَالسَّيْفُ وَالرَّمْحُ وَالْقِرْطَاسُ وَالْقَلَمُ" (١)
وَعَظَّمَ اللَّهُ بِالْمَرْحُومِ أَجْرَكُمْ



نزهة

"من شعره الظريف أيام الصبا هذه القصيدة التي نظمها السيد جعفر بعد نزهة مع بعض أصدقائه إلى قلعة "دوبيه" قرب شقرا^(١)".

يا مَنْ يُقْضِي عمره	ويُضِيع منه أكثره
بين الدفاتر والمحا ...	برقل أن لا تنظره
حسب القراءة دأبه	أقصى مُناه "الشحبره"
ماذا يفيدُ تعلم	العلمُ عندي مَسْخَره
لا سيما النحو الذي	ما فيه إلا النحوره
أشجى فؤادي درسه	وَكذلك قلبي مَرْمَره
لو جئتُ إحدى السيدا ...	ت وقد لزمتم القنعره
أدمتك مِنْ قبقابها	وعلتك منها "الكندره"
رَبِّح الذي دوماً غدا	في غير أنسٍ لم تره
قل للذي لا يرعوي	لنصيحتي ما أحمره
لو كنتُ تُبصرنا وقد	سرنا بقصد "الكزدره"

(١) أنظر: أعيان الشيعة، مرجع مذكور والمخطوطات المذكورة. مقدمتها في المخطوطة "ض". "في ٢٢ شعبان ١٣٤٥، ذهبت وجماعة من الرفاق وهم السيد علي مهدي والشيخ محمد مزرعاني والسيد جواد الأمين والسيد محمد وأخيه السيد هاشم أبو الحسن الأمين وإخوتي: حسن وهاشم وعبد المطلب إلى قلعة دوبيه وكانت نزهة في غاية الأنس وقد فاضت القريحة فقلت :

نَبِغِي مَكَاناً لَائِقاً
 كَانَ الْمَقَامُ بِقُلْعَةٍ
 فِيهَا أَقْمَنَا يَوْمَنَا
 إِنْ كُنْتَ تَسْأَلُ مَا الطَّعْمَا ...
 لَكِنِّهَا مَمْتَازَةٌ
 وَكَثِيرَةٌ أَيْضاً وَقَدْ
 وَالْكُلُّ مِنَّا جَائِعٌ
 أَسْنَانُنَا مَسْنُونَةٌ
 حَتَّى إِذَا نَضَجَ الطَّبِي ...
 وَكَذَا النُّفُوسُ اسْتَبْشَرَتْ
 مَا كُنْتَ تَسْمَعُ حِينَ نَا ...
 حَتَّى حَسَبْنَا أَنَّهُ
 ثُمَّ انْكَفَأْنَا رَاجِعِي ...
 هَذَا حَدِيثُ ذَهَابِنَا
 إِنْ كُنْتُ فِيهِ مَقْصُوراً
 بِجَنَابِنَا كِي نَغْبِرَهُ
 مَهْجُورَةٌ وَمُكَرَّكِرُهُ
 مِنْ أُنْسِهِ مَا أَقْصَرُهُ
 مُقُولُ كَانَ "مَجْدَرُهُ"
 مُحَمَّرَةٌ وَمُذْذَرُهُ
 مَلَأَتْ فَنَاءَ الطَّنْجَرِ
 وَالْحَالُ مِنْهُ مَكْدَرُهُ
 وَكَذَا الْكَرُّ وَشُ مُهَيَّرُهُ
 خُ عَلَتْ لَذَاكَ الْهَوْبَرُهُ
 مِنْ بَعْدِ عَوْفِ التَّذْكَرِ
 كُلُّ غَيْرِ صَوْتِ الشَّخُورِ
 بَلَغَ الطَّعَامُ الْحَنْجَرِ
 نَ كَمَا أَتَيْنَا الْقَهْقَرِي
 أَغْنَاكَ عَنْ أَنْ تَحْضَرَهُ
 فَإِلَى الرِّفَاقِ الْمَعْدَرَةُ



عليهم

"ومن طرائف السيد جعفر أيام الصبا قوله معارضاً قصيدة عمرو بن كلثوم^(١) .

أَلَا مُبِّي بِصَحْنِكَ فَاطْعَمِينَا وَمِنْ لَحْمِ الدَّجَاجِ فَأَشْبَعِينَا
وَمِنْ كُلِّ الْمَأْكَلِ أَمْ عَمْرٍو فَإِنَّا نَشْتَهِي مَا تَشْتَهِينَا
دَعِينَا مِنْ "مَجْدَرَةٍ" وَ "فُولٍ" وَمِنْ "بُو مَلِيحٍ"^(٢) يَا خَالَهُ دَعِينَا
دَعِينَا نَأْكُلُ الْحَلْوَى دَعِينَا وَمِنْ أَكْلِ "الْفَشَافِيشِ"^(٣) اَمْنَعِينَا
كَفَانَا مَا أَكَلْنَا مِنْهُ قَبْلًا فَإِنَّا نَشْتَهِي كَبْشًا سَمِينَا
فإِنَّا الشَّارِبُونَ مَتَى سُقِينَا وَإِنَّا الْآكِلُونَ مَتَى دُعِينَا
وَإِنَّا نُورِدُ الْجَفْنَاتِ مَلَأَى وَنُضْدِرُهَا فَوَارِغَ قَدْ خَلِينَا
وَمَادِبَةٍ يَحَارُ الْعَقْلُ فِيهَا وَفَخِذٍ قَدْ جَنَنْتُ بِهِ جَنُونَا
فَصَالُوا صَوْلَةً مِمَّا يَلِيهِمْ وَصَلْنَا صَوْلَةً مِمَّا يَلِينَا
فَابُوا بِالْعِظَامِ وَبِالْبَقَايَا وَإِنَّا بِاللَّحُومِ مُكَرَّدَسِينَا
نُطَاعُنُ فِي الْمَوَائِدِ مَا قَدَرْنَا وَنَأْكُلُ بِالْمَلَاعِقِ مَا يَلِينَا
نَشْقُ بِهَا صُحُونَ الرِّزِّ شَقًّا وَنُخْرِجُ مِنْ أَوَاسِطِهِ الدَّفِينَا
مَتَى نَنْقُلُ إِلَى قَوْمٍ رَحَانَا"^(٤) يَكُونُوا فِي اللَّقَاءِ لَنَا طَحِينَا

(١) أنظر أعيان الشيعة، مرجع المذكور والمخطوطتين "ج وض".

(٢) فئات الخبز مخلوط بالصعتر والملح والزيت بعد ترطيبه بالماء.

(٣) الفشافيش: ثمر التين الذابل والمتساقط على الأرض.

(٤) الرحى : حجر الطحن في المطحنة.

هارب من الإفلاس

"آيات إلى الشيخ عبد الحسين جواد من "حولا" وقد عزم على السفر إلى المهجر".

بَلَغَ الْمُحِبُّ بِأَنْكُمْ أَرْمَعْتُمْ
وَبَأَنْكُمْ سَتُفَارِقُونَ بِلَادَكُمْ
وَلَأَنَّ أَيَّامَ الْفِرَاقِ قَرِيبَةٌ
لَكُنِّي رَاجِعْتُ فِكْرِي بَعْدَ ذَا
لَا سِيَّما إِنْ عُدْتُمْ بِسَلَامَةٍ
لَوْلَا الَّذِي قَدَّمْتُ كَانَ يَحِقُّ لِي
أَرْجُوكُمْ أَنْ لَا تَكُونُوا مِثْلَ مَنْ
وَمِنَ الْأَوَانِي كُلِّهَا مَا عِنْدَهُمْ
هَذِي مَدِينَةُ بَيْرُوتَ تَنَاشِدُكُمْ
سِيراً إِلَى (تُمْبُكْتُو) ^(١) أَوْ (كَرَكَاس) ^(٢)
هَرَباً مِنَ الْإِمْلَاقِ وَالْإِفْلَاسِ
فَقَدْ اسْتَعِذْتُ بِرَبِّ كُلِّ النَّاسِ
فَوَجَدْتُ لَا ضُرَّ وَلَا مَنْ بَاسِ
وَوَضَعْتُ الْأَمْوَالَ فِي الْأَكْيَاسِ
تَمْزِيقُ طَرْبُوشِي وَفَتْقُ لِبَاسِي
قَنَعُوا بِعَيْشِ الْعُودِ وَالْمَسَّاسِ ^(٣)
خَيْرٌ مِنْ "الْقَصْعَاتِ وَالْجَنْطَاسِ" ^(٤)
فَاخْتَرْتُ لِنَفْسِكَ بَابُوراً بِهَا رَاسِي ^(٥)

(١) تُمْبُكْتُو : مدينة في جمهورية مالي (أفريقيا).

(٢) كَارَاكَاس : عاصمة جمهورية فنزويلا.

(٣) أَي الْفَلَاحُونَ.

(٤) الْقَصْعَاتُ : مفردة قصعة، آنية يسكب فيها الطعام، والجَنْطَاسُ : كأس من النحاس لشرب الماء.

(٥) الْبَيْتُ مِنَ الْبَحْرِ الْبَيْطِ

وقال جواباً عن أبيات: منكم أتتني

منكم أتتني أبياتٌ مُنَمَّقةٌ
منها شمتُ شذا أنفاسكم عطراً
إنَّ صَحَّ ما قُلْتُموه بي فلا عجبُ
منكم أخذتُ الذي قُلْتُم فإِنَّكُمْ
قَلَسْتُ غيرَكم في الناس مُصطحِباً
لا زَالَ عيشُكُمْ تصفو مَشارِبُهُ
قد صُغْتُموها تُحاكي اللؤلؤ الرطباً
حتى تَوَهَّمْتُ فيها مَنَداً^(١) ضُرباً
تلكَ الخلَاقُ منكم صيَّبها اكتسباً
في كُلِّ ما في كُنْتُمْ أنتم السَّببُ
وليسَ يَندَمُ مَنْ إِيَّاكم صَحِباً
ولا لَقِيتُمْ مَدَى أَيَّامه كَرِياً^(٢)

ومن ظريف أيام الصبا :

بـ"بنت جبيل" في ذا الوقت طابَتْ
بجوقِ لَو رآه "أبو حشيش"^(٣)
تَجَمَّعَ شملُهُ مِنْ كُلِّ فَجٍّ
ولكنَ ضَمَّهم توحيدُ ذوقِ
يَجوبون الدروبَ وهُم حُفَاةٌ
ويُسمعُ إنَّ مَشُوا لَهُم صهيلٌ
أناسٌ ريتهم "داروين" أضحى
فلا جِلَّ لَدَيْهِم أَوْ حَرَامٌ
فَيَا أَهْلَ الديانةِ أينَ أنْتُمْ
لِسَاكنها الإقامةُ والحَيَاةُ
وَمَنْ في سلكه ضحكاً لماتوا
ولم تَسعَ لجمعهم الدُّعَاةُ
وأهدافُ لَهُم مُتَشَابِهَاتُ
وَيَلْقَوْنَ الأَنَامَ وَهُم عُرَاةُ
كَأَنَّهُم الخيولُ الحَايِلَاتُ
وأصحاب الضلال لهم هُدَاةُ
ولا صَوْمٌ لَدَيْهِم أَوْ صِلَاةُ
أَلَا قَلْتَهَرِ جُلْدَهُم العَصَاةُ

(١) عمل من أعمال السحر والشعوذة لكشف السر.

(٢) أبيات أرسلها إلى ابن العم علي مهدي جواباً على أبيات منه وذلك في ٢٢ ربيع الثاني ١٣٤٦.

(٣) أبو حشيش : رمز التهريج والضحك.

وقال عندما أنشأ الفرنسيون الجمهورية اللبنانية: (١)

لبنانُ ما زلتَ بعدَ اليومَ لبنانُ
كانتَ أمانيكَ قبلَ اليومَ زاهرةً
وَكَمْ أَقَمْتَ على الأحلامِ شاهقةً
مُذْ كُنْتَ تَأْمَلُ أَنْ يُوفُوا بوعدهم
مضى عليه زمانٌ كنتَ منتظراً
كَانَ الوفاءُ بما قالوا بأنْ خَلَقُوا
كيما تعظُمُ جُمهوريَّةٌ دُعيتْ
فيها من الناسِ مَنْ قَدْ وظَّفُوا أُممًا
في كُلِّ دائرةٍ (مسيو) يُديرهم
أما النوائِبُ أَوْ نُؤَابُنَا فهمُ
قَدْ اتقنوا (نعمًا) من دون (لا) فلذا
حتى بفعلتِهم مرضاةَ أنفسهم
تلكَ الحكومةُ والنوابُ كلُّهم
إِذْ قَيَّدوكَ فَلَا حَكْمَ وَلَا شَأْنَ
وَعُودُهَا كَمْ تَشْنِي وهو رِيَّانُ
وهل يقوم على الأحلام بُنيانُ
لم يصدقوكَ بما قالوا وقد خانوا
وَسَوْفَ تمضي عليه بعدُ أزمانُ
حكومةٌ ما لها بالكون أقرانُ
لولا قليلٌ لكانَ اليومَ تيجانُ
فَلَيْسَ يُحصيهم في العدِّ إنسانُ
فَمَا لَهُمْ في تَوَلَّى الحكمِ سُلطانُ
طَوْعُ الأوامرِ للإذلالِ قَدْ دانوا
منهم لكلِّ اقتراحِ صَارَ إذعانُ
لبنانُ قَدْ أغضبوا والأرْزُغُضبانُ
قَدْ ضَيَّعونا فَلَا كانتَ وَلَا كانوا



(١) أنظر أعيان الشيعة والمخطوطات المذكورة وهي بعنوان : وطني عتيق.

نتف من أيام زمان

"أرسلت هذه الأبيات إلى السيد عبد العزيز الشمعة أهنته بعيد
الفطر في دمشق ١٣٤٤^(١) .

العيد أقبل بعدما ملئت من الصوم النفوس
فأفنا به يا مَنْ علا فوق الأهلة والشموس
دوماً نراكم في الهنا وجيوبكم ملأى فلول
ونراكم في غبطة ونرى لحضرتكم عروس

* * * * *

رحلة

"تلاقينا نحن (أنا والأخوين حسن وهاشم والسيد عبد الكريم
محمود من شقرا) والسيد جعفر محمود وأخيه السيد كاظم من
المجدل (مجدل سلم) على الذهاب إلى وادي السلوقي للتنزه ثاني
يوم عيد الفطر سنة ١٣٤٤ علماً أن يكون الملتقى في قلعة القط.
فنظمت هذه الأبيات وأرسلتها إلى السيدين الأخيرين في المجدل :
ألاً بادرا يا جعفرأ وشقيقه إلى الموضع المعلوم أي قلعة القط^(٢)

(١) و (٢) أنظر المخطوطة "ض".

ومنه إلى الوادي نسير جميعنا ويوماً به نقضيه بالقفز والنط
ولا تُنْسِيَا زوادةً عربيةً ولا بأس إن كانت من الرزّ والبط

مقاطع من أغاني شعبية^(١)

ابرم بالدنيا ودورا وشوف برورا وبحورا
بترجع بعدا معي تقول لبنان زينة المعموره

محلا الشتا بجل الذيب والصيفية بشتورا
والطلعة لظهر القضيب والنزلة عا العاقوره

كيف ما رحت وكيف ما جيت جنة خضرا ونهورا
وبتغنّيك كيف ما مشيت عا الأغصان العصفورا

لَو زاز بلادي المعلول أبو الخلقة المصفورة
علّة جسمو ما بتطول وبتتغيّر ها الصورة

بيكفيه يومين بجزين وكم ليلة بعين طورا
ونومة بشقرا بكرم التين وبزحلة شي كزدوره

وبعدا حتماً بدو يصير قد كديش الناعورا
وبدو يتخن جسمو كثير ولو عاش عا البنادوره

(١) المخطوطة 'ض'.

وراح بالدنيا يتأمل وإمّو عليه مفهوره
صار مقطّع وموصّل مثل حبال الطنبوره

تحرير برلين على يد الجيش السوفياتي

"في التاسع من ايار سنة ١٩٤٤ عمّت العالم من أقصاه إلى أقصاه
فرحة النصر... ودعت منظمة الحزب (الشيوعي) إلى تظاهرة شاركت
فيها جماهير النبطية وردّد المتظاهرون مع السيد جعفر الأمين: (١).

النّصر تحقّق وتسوكر بهجوم الجيش الأحمر
يوم دخولو عابرين عيد الحرية الأكبر
وين عين عمر المختار تشوف بإيطاليا شو صار
حكم الإستعمار انهار ورأس موسولينّي تكسّر
شوف الدوتشي كيف مصلوب وكيف معلّق بالمقلوب
وكل ظالم ما بدّو يتوب حبل المشنقة مهير
وين التطبيل والتزمير والعنابر والتدمير
مبيّن "بو علي" (٢) هالزير ما فتحش ولا عنبر

(١) أنظر الجزء الثاني من " دفتر الذكريات الجنوبية " لعام ١٩٨٤.

ذكريات الأستاذ فؤاد كحيل : ص ١٥٦ ١٥٧.

منشورات المجلس الثقافي للبنان الجنوبي.

(٢) بو علي : هتلر.

أمثال وردت في قصائد السيد جعفر

* صاحب العادة يسمّى صاحب العوايد
* الضرة مرة.
* قامت القيامة وانتصب الصراط.
* كفاريت سليمان الموكلين باستعمال حمام طبريا: أخضر يابس
هات.

* وكم حسرات في نفوس كرام.
* لا يجوع الذيب ولا يفنى الغنم.
* أنحف من قضيب البان.
* كراهب في دير.
* جسم البغال وأحلام العصافير.
* كأنهم جرذان المجارير.
* لشر داء دواء.
* لكل يوم جبة ورداء.
* يعطيك من طرف اللسان حلاوة...
* ما يملك المعلوم يدليه عادة.
* مكانك تحمدي أو تستريحي.
* كالهر يطعم من حديد المبرد.
* حمل سلّمه بالعرض.

* في إسبانيا يبني العلالى.
* في كل عرس له قرص.
* وكل يدعى وصلاً بليلى.
* مَنْ طلب العلى سهر الليالى.
* الحق يعلو ولا يُعلى عليه.
* كفى المؤمنين شر القتال.
* يسارع في الهروب كالغزال.
* أجهل من رثال (ولد النعام).
* عند العقدة يسلح النجار.
* الزيز في إلفه أدرى.
* يا حُرّة مع مَنْ علقت
* يرى الرغيف نجماً.



منشورات المجلس الثقافي للبنان الجنوبي

- ١ - خطر إسرائيل على لبنان الجنوبي ١٩٦٨ : المهندس عبد الله عاصي.
- ٢ - مشروع الليطاني - ١٩٧٤ المهندس جعفر شرف الدين.
- ٣ - الإعتداءات الإسرائيلية على جنوب لبنان - ١٩٧٨.
- ٤ - في نتائج العدوان الإسرائيلي على جنوب لبنان - ١٩٧٩.
- ٥ - صفحات من تاريخ جبل عامل - ١٩٧٩.
- ٦ - وكل الجهات الجنوب - ١٩٧٩ : مجموعة شعرية.
- ٧ - معاً من أجل الجنوب - ١٩٧٩.
- ٨ - جنوب لبنان خط المواجهة الأول - ١٩٨١.
- ٩ - وجوه ثقافية من الجنوب (جزء أول) - ١٩٨١.
- ١٠ - جنوب لبنان مأساة وصمود - ١٩٨١.
- ١١ - شهادات على حاشية الجنوب - ١٩٨١ : حبيب صادق.
- ١٢ - من دفتر الذكريات الجنوبية (جزء أول) - ١٩٨١.
- ١٣ - الدليل - مكتبة جبل عامل - ١٩٨١.
- ١٤ - الأبعاد السياسية لقضية الجنوب اللبناني - ١٩٨١.
- ١٥ - دراسات حول جنوب لبنان - ١٩٨١.
- ١٦ - في رحاب الخيام (شعر) (تراث عاملي) - ١٩٨٤ : الشيخ عبد الكريم صادق.

- ١٧ - حسن العواقب والهوى والوفاء - زينب فواز (تراث عاملي).
تحقيق: فوزية فواز - ١٩٨٤.
- ١٨ - المقاومة الوطنية اللبنانية - طريق التحرير والوحدة - ١٩٨٤.
- ١٩ - عامان من الاحتلال، عامان من المقاومة - ١٩٨٤.
- ٢٠ - وجوه ثقافية من الجنوب (جزء ثان) - ١٩٨٤.
- ٢١ - من دفتر الذكريات الجنوبية (جزء ثان) - ١٩٨٤.
- ٢٢ - عشرون عاماً للجنوب والثقافة الوطنية - ١٩٨٥.
- ٢٣ - المقاومة والثقافة - ١٩٨٥.
- ٢٤ - المقاومة في التعبير الأدبي - ١٩٨٥.
- ٢٥ - الوقائع اليومية لمسيرة المقاومة الوطنية اللبنانية - ١٩٨٦.
- ٢٦ - قلنا لنزيه القبرصلي - شعر عارف الخاجة - ١٩٨٦.
- ٢٧ - ماذا لو تركوا الخيل تمضي - شعر ناصر جبران - ١٩٨٦.
- ٢٨ - النشيد - قصص من الإمارات - ١٩٨٦.
- ٢٩ - حجارة الضوء - ١٩٨٨.
- ٣٠ - ثقافة المقاومة ومواجهة الصهيونية - ١٩٨٩.
- ٣١ - خمسة وعشرون عاماً للجنوب والثقافة الوطنية - ١٩٩٠.
- ٣٢ - مقاربات وشهادات: حبيب صادق - ١٩٩١.
- ٣٣ - سلام الراسي: شيخ الأدب الشعبي - ١٩٩١.
- ٣٤ - رياح الخريف - شعر زهرة الحر - ١٩٩٢.
- ٣٥ - دفاعاً عن الآثار والمباني التاريخية في لبنان - ١٩٩٤.
- ٣٦ - الروابي العاملة: شعر محمد جعفر - ١٩٩٥.
- ٣٧ - الاحتلال الإسرائيلي لجنوب لبنان وتحديات المرحلة - ١٩٩٥.
- ٣٨ - تحية حب إلى جوزف صقر - ١٩٩٧.
- ٣٩ - حسين مروة في مسيرته النضالية فكراً وممارسة - ١٩٩٧.
- ٤٠ - رسالة وفاء وحب إلى سهى بشارة - ١٩٩٧.

- ٤١ - لبنان في تحولات المشروع الإسرائيلي: محمود حيدر - ١٩٩٨.
- ٤٢ - الرقص على رماد الهيكل: شعر علي محمد هاشم - ١٩٩٩.
- ٤٣ - ديوان الشاعر الزجلي: توفيق عبد الكريم صبح (إعداد وتحقيق وتقديم: حبيب جابر) - ١٩٩٩.
- ٤٤ - الفنان حسني عوالي: حلم.. لم يتحقق - ١٩٩٩.
- ٤٥ - أمواج ورمال: د. نديم دكتور - ٢٠٠٠.
- ٤٦ - انتصاراً لقيم الديمقراطية والعدالة وتقديم الإنسان: إشراف وتقديم حبيب صادق - ٢٠٠٠.
- ٤٧ - تجديد الفكر السياسي من أجل التغيير: إشراف وتقديم حبيب صادق - ٢٠٠١.
- ٤٨ - مجلة "مجالات" العدد الأول والثاني - ٢٠٠١.
- ٤٩ - ديوان "أوزان" للشاعر السيد محمد رضا شرف الدين - ٢٠٠١.
- ٥٠ - ديوان "العدالة والحياة" للشاعر القاضي محمد علي صادق - ٢٠٠١.
- ٥١ - كالج معروض "أطياف عربية" - ٢٠٠١.



لم تغب عن شعر السيد جعفر
الأمين صورة الواقع الاجتماعي
والمرحلة التاريخية التي عاشها
فلا تجد في شعره إلا الشدائد
والمخاوف والضرورات والأحلام
وانكسار الذات وخيبات النفس
الموجعة وأشواقها وصبواتها كما
أنه لم ينقطع عن حركة المجتمع
وقضاياه فكانت مفهوماته عن
الحياة والإنسان شمولية في
معظم ما تناوله من أغراض
شعرية متداخلة في قصائد
شكّلت لوحات فنية وسجلاً
لمشاعره ومعاناته ومواقفه.

